

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

العنوان:

الجهود اللغوية عند خولة طالب الإبراهيمي من خلال كتابها
مبادئ في اللسانيات العامة"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ماستر أكاديمي

إشراف الدكتور:

أعداد الطالبة :

قندوز محمد

فروول إكرام

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة غليزان	1- أ / عثمان عمار
مشرفا ومقررا	جامعة غليزان	2- أ / غندوز محمد
عضوا مناقشا	جامعة غليزان	3- أ / حمداني محمد

السنة الجامعية: 1445-1446 هـ / 2024-2025 م

شكر وتقدير :

الحمد لله الذي أعانني في إعداد وإتمام هذا البحث ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أتوجه بفاضل وجزيل الشكر إلى من أعانني ولو بالقليل في إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل " غندوز محمد " التي كان لي سندا وثيقا واليد التي قدم لي العون بإشرافه وتوجيهاته ومساعدته القيمة وصبره معي طيلة إنجاز هذا البحث ، فقد كان خير مشرف ومرشد ، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يجعله ذخرا للعلم والمعرفة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذة الأدب العربي في جامعة غليزان ، الذين يسعون في إيصال وتبليغ الأمانة العلمية لكافة الطلبة .

كما أشكر من حمل عناء كتابة هذا العمل على عاتقه وإخراجه في أحسن صورة .

إهداء

إلى روح أبي رحمه الله، إلى أمي الغالية، سندي ودعائي الجميل في كل خطوة، أطل الله
عمرها وحفظها لي

إلى إخوتي الثلاثة، الذين كانوا القوة القريبة من قلبي دائماً

إلى ذلك الشخص الذي كان حضوره هادئاً كطمأنينة خفية، وكان لكلماته أثرٌ جميل دون أن
يعلم أحد، شكراً لأنه كان جزءاً لطيفاً من هذه الرحلة

وإلى نفسي، التي واجهت المرض والتعب والليالي الثقيلة، وتجاوزت الكثير من الصعوبات
بإيمانٍ وصبر، حتى وصلت اليوم لأقطف ثمرة جهدي وتعب سنواني

الحمد لله على هذا الإنجاز الذي جاء بعد صبرٍ طويل.

مقدمة

شهدت الساحة المعرفية اللسانية في الوطن العربي حركة دؤوبة تهدف إلى تمثل واستيعاب الطروحات اللسانية الغربية الحديثة، وتحديدًا منذ الثورة المنهجية التي فجرها السويسري "فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) في بداية القرن العشرين، والتي نقلت دراسة اللغة من المقاربات التاريخية المقارنة إلى اللسانيات البنيوية القائمة على دراسة اللسان في ذاته ولأجل ذاته بوصفه نظاماً من العلامات. وفي هذا السياق، برزت جهود لسانية عربية معاصرة سعت إلى قراءة هذه الطروحات وتوطين مصطلحاتها؛ وتأتي في طليعة هذه الجهود الباحثة الجزائرية "خولة طالب الإبراهيمي" من خلال كتابها المرجعي الموسوم بـ "مبادئ في اللسانيات العامة". وتتأني أهمية هذا الكتاب من كونه لا يقف عند حدود التقديم النظري للمفاهيم السوسيرية كالثنائيات (اللسان/الكلام، الدال/المدلول، التزامني/التاريخي)، بل يتعدى ذلك إلى محاولة إجرائية تسعى لاستنطاق واقع اللسان العربي المعاصر، وتفكيك قضايا التعدد اللغوي في البيئة العربية، مما يجعل من قراءة هذا المنجز واجباً معرفياً للوقوف على مسار انتقال المصطلح والمنهج اللساني الغربي إلى الفكر النقدي واللغوي العربي.

يعود اختيار هذا الموضوع إلى الرغبة في تسليط الضوء على المقاربات اللسانية النسوية في الجزائر، وتمثل القامة العلمية للدكتورة "خولة طالب الإبراهيمي" نموذجاً للمثاقفة اللسانية الواعية. كما أن الكتاب يطرح إشكالية بالغة الأهمية تتصل بمدى قدرة المنهج السوسيري البنيوي—عبر وسيط الإبراهيمي—على تفسير وفحص قضايا اللسان العربي ومستوياته النظامية (الصوتية، والنحوية، والدلالية). بالإضافة إلى الشغف الأكاديمي الشخصي بمباحث "علم المصطلح" وتتبع التطور الدلالي للمفاهيم اللسانية (مثل اللسان، الدال، المدلول) عبر مساراتها المتعددة بدءاً من التراث العربي القديم، وصولاً إلى اللسانيات العربية المعاصرة والتراث الغربي الحديث

تحدد إشكالية هذه الدراسة في تساؤل مركزي رئيس مفاده: كيف تمثلت خولة طالب الإبراهيمي

المفاهيم والآليات المنهجية السوسيرية في كتابها "مبادئ في اللسانيات العامة"، وما مدى نجاعة قراءتها في تفسير قضايا اللسان العربي المعاصر؟ وينبثق عن هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي الجهود المفاهيمية والاصطلاحية التي قدمتها الباحثة لمفاهيم اللسان، والدال، والمدلول، والنظام اللغوي بمستوياته؟
- ما طبيعة التأثير السوسيري (الاصطلاحي والمنهجي) الشاخص في منجز الإبراهيمي؟

- كيف وظفت الباحثة ثنائيات سوسير (اللسان/الكلام، الدال/المدلول) في تحليل واقع التعدد اللغوي (الفصحى والعاميات)؟
 - إلى أي مدى نجح المنهج التزامني (السوسيري) عبر آلية قراءة الباحثة في قراءة الظاهرة اللغوية وتفكيك بنية الكلمة العربية؟
- وللإجابة عن هذه الإشكالية، تم تقسيم المذكرة وفق فهرس المحتويات المقترح إلى فصلين متكاملين مسبقين بتمهيد ومقدمة ومختومين بخلاصة وخاتمة:
- **الفصل الأول وعنوانه: (الجهود المفاهيمية والاصطلاحية لخولة طالب الإبراهيمي)** وينطلق من تمهيد يؤصل للموضوع، ليليه **المبحث الأول** الذي يتتبع مفهوم (اللسان) في التراث العربي القديم، اللسانيات العربية، والتراث العربي الحديث، بالإضافة إلى تتبع ثنائية (الدال والمدلول) لغة واصطلاحاً عبر التراث القديم، اللسانيات العربية، التراث العربي الحديث، والتراث الغربي اللساني، مع رصد طبيعة العلاقة بينهما في اللسانيات الحديثة. ويفحص الفصل في مطلبه الثاني (مفهوم النظام اللغوي) بمستوياته الثلاثة (الصوتي، النحوي، والدلالي)، لينتهي الفصل برصد (التأثير السوسيري الاصطلاحي والمنهجي على خولة طالب الإبراهيمي) من خلال خلاصة الفصل.
 - **الفصل الثاني وعنوانه: (آليات التطبيق المنهجي والتحليلي في كتاب "مبادئ في اللسانيات)** ويبدأ بتمهيد تطبيقي، يليه **المبحث الأول** الذي يدرس إجراءات الثنائيات السوسيرية في مقارنة الإبراهيمي عبر تطبيق ثنائية (اللسان/الكلام) لعزل موضوع الدراسة وتحليل واقع التعدد اللغوي (الفصحى والعاميات) والنظر للسان كخزان اجتماعي، تليها إجراءات (الدال والمدلول) وتطبيق مفهوم العلامة. ثم يأتي **المبحث الثاني** ليركز على تحليل مستويات النظام اللغوي (دراسة تطبيقية للمناهج الستة) عبر المستويات الثلاثة (الصوتي والصرفي، النحوي، والدلالي) مع عقد مقارنة تطبيقية. ويختتم الفصل بـ **المبحث الثالث المعني** بفحص فاعلية المنهج التزامني في قراءة الظاهرة اللغوية عبر تحديد آليات نجاح الباحثة، ونقد التحليل التاريخي، واستخلاص مدى قدرة المنهج السوسيري على تفسير قضايا اللسان العربي المعاصر

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك عبر وصف المفاهيم والمصطلحات اللسانية وسياقات تطورها، ثم تحليل المتن الأسلوبي والنقدي لكتاب الباحثة، ورصد آلياتها الإجرائية والتطبيقية المعنية بمقاربة المستويات اللغوية وقضايا الثنائيات.

و تستند المادة العلمية لهذه المذكرة إلى كتاب الدكتور خولة طالب الإبراهيمي "مبادئ في اللسانيات العامة" بوصفه المصدر الأساس للدراسة، إلى جانب أمهات المعاجم والمصنفات التراثية العربية في اللغات والبيان، بالإضافة إلى المصادر اللسانية الغربية المترجمة (وعلى رأسها دروس سوسير في اللسانيات العامة)، فضلاً عن الرسائل الأكاديمية والبحوث المنشورة في المجالات اللسانية المتخصصة في تحليل الخطاب وعلم المصطلح.

و لعل من أبرز العقبات التي واجهت الدراسة هي صعوبة تفكيك المصطلح اللساني المشترك وتعدد المقابلات العربية للمصطلحات السوسيرية في البيئة النقدية المعاصرة، بالإضافة إلى دقة المزاوجة بين المستويات النظرية البنيوية والتطبيقات الإجرائية على قضايا اللسان العربي والتعددية اللغوية، بيد أن تتبع تدرج الباحثة المنهجي ساعد على تذليل هذه الصعاب وإخراج البحث في حلة علمية وافية ومنهجية.

وفي الخاتمة قمت بوضع حوصلة عامة لموضوع البحث واهم النتائج التي توصلت إليها .

في الختام لا يعني إلا أن أشكر الله تعالى الذي وفقني في إعداد هذا العمل ، فله الحمد والشكر ، كما اتقدم بالشكر والتقدير، إلى أستاذي المشرف "غندوز محمد " وإلى كل من ساعدني وأسأل الله تعالى سبحانه الموفق وعليه نتوكل ونستعين .

الفصل الأول

الجهود المفاهيمية والاصطلاحية لخولة طالب الابراهيمى

- المبحث الاول: اللسان
- المبحث الثانى: الدال والمدلول
- المبحث الثالث: مفهوم النظام اللغوى
- المبحث الرابع: التأثير السوسيرى الاصطلاحى والمنهجى على خولة طالب الإبراهيمى

خلاصة

تمهيد :

تعتبر دراسة اللغة اليوم واحدة من أبرز مجالات البحث العلمي التي تجمع بين التحليل النظري والمنهج التطبيقي ومن بين القضايا الأساسية التي شغلت بال اللسانيين المعاصرين تلك المتعلقة بـ المفاهيم اللسانية والمصطلحات العلمية، وكيفية ضبطها داخل إطار علمي موحد يتيح فهم اللغة كنظام متكامل، ففي ضوء التطور المنهجي الحديث بات من الضروري التمييز بين المعنى الاصطلاحي للمصطلح اللغوي والمفهوم اللساني الذي يستند إليه، وهو ما أسهم في تحديد صرامة التحليل اللغوي ودقته في البحوث النظرية والتطبيقية.

وفي هذا السياق، تأتي جهود خولة طالب الإبراهيمي كمرجعية رصينة في مجال اللسانيات العربية المعاصرة، من خلال كتابها مبادئ في اللسانيات. فقد أسهمت الإبراهيمي في تحديد المصطلحات العلمية والاصطلاحية بدقة، وربطها بمفاهيم واضحة، مستفيدة من الموروث البنيوي السوسيري، وفي الوقت نفسه موسعة على مستوى التطبيق والتحليل النسقي للغة العربية. ومن خلال عملها، أصبح بالإمكان تقديم لغة علمية متناسقة، توضح العلاقة بين الدال والمدلول، وترابط المستويات اللغوية، بالإضافة إلى الانتقال من النظرية التاريخية أو الاستخدام الفردي للغة إلى دراسة بنيوية علمية تعتمد التحليل التزامني كنقطة انطلاق.

المبحث الأول: اللسان

أولاً: تعريف اللسان

اللسان لغة:

وإذا تتبعنا المعاجم القديمة نجد أن اللسان ارتبط بـ "اللَّسَن" وهو الفصاحة، فاللسان ليس مجرد أداة مادية، بل هو مظهر من مظاهر القوة العقلية والتعبيرية¹. ويشير اللسان في الاستعمال العربي أيضاً إلى "اللغة" ذاتها، كما في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾²، حيث حل اللسان هنا محل النسق اللغوي الكامل. وفي السياق الاشتقاقي، نجد "لَسَنَهُ" أي غلبه بالقول، مما يوحي بأن اللسان في اللغة العربية يحمل دلالة "الحجة" و"البرهان" و"الإبانة"، فهو الوسيلة التي تُخرج الأفكار من حيز الكتمان إلى حيز الإعلان³.

يمثل "اللسان" في المعجم العربي مادةً غنيةً بالدلالات التي تتجاوز التوصيف العضوي لتصل إلى التوصيف البياني. ففي أصل اللغة، يُطلق اللسان على الجارحة التي هي آلة النطق، وهو من الألفاظ التي تُذكر وتُؤنث، والجمع "ألسنة" و"لُسُن" ⁴.

اللسان اصطلاحاً

لقد تباينت تعريفات الباحثين للسان بين التراث العربي القديم الذي ركز على الوظيفة والبيان، وبين الفكر الغربي الحديث الذي ركز على النسق والبنية، ويمكن تفصيل ذلك وفق الآتي::

1 المرتضى الزبيدي، محب الدين محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج35، ص 102.

2 سورة الشعراء، الآية: 195.

3 الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج2، ص 215.

4 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مجلد 13، ص 385.

أ- في التراث العربي القديم:

لم يكن "اللسان" عند علماء العرب مجرد مفردة معجمية، بل كان مفهوماً مركزياً تداخلت فيه الرؤى الفلسفية بالرؤى اللسانية والاجتماعية. ويمكننا بسط هذا المفهوم من خلال تتبع آراء كبار المنظرين في التراث العربي على النحو الآتي:

- الرؤية الوظيفية والاجتماعية (ابن جني): يعد تعريف أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه "الخصائص" من أدق ما وصل إليه الفكر العربي القديم في تصوير ماهية اللسان (اللغة)، حيث اعتبره "أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".¹ هذا التعريف يفتح آفاقاً واسعة في البحث التاريخي؛ فهو يربط اللسان بالجانب الصوتي المادي من جهة، وبالجانب الاجتماعي النفعي من جهة أخرى، مؤكداً أن اللسان وسيلة تواصلية تخدم حاجات الجماعة وتطلعاتها، وهو ما يتوافق تماماً مع الاتجاهات الوظيفية المعاصرة.

- الرؤية الملكية والأنثروبولوجية (ابن خلدون): انتقل ابن خلدون بمفهوم اللسان من مجرد "أصوات" إلى "ملكة راسخة". ويرى في مقدمته الشهيرة أن اللسان هو "عبارة عن ملكة في اللسان لترجمة المقاصد"، ويفصل في ذلك موضحاً أن هذه الملكة لا تولد مع الإنسان، بل تكتسب عن طريق التكرار والممارسة حتى تصبح "صفة مستقرة" في النفس.² وما يميز رؤية ابن خلدون التاريخية هو ربطه بين جودة اللسان ورفي العمران البشري؛ فاللسان عنده مرآة للحضارة، يضعف بضعفها ويقوى بقوتها، وهو ما يفسر عنايته بدراسة "اللسان العربي" وتحولاته عبر العصور.³

1 ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، د.ت، ج1، ص 33.
2 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد السلام الشداوي، خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ج3، ص 234
3 المرجع نفسه، ص 238.

- الرؤية المنطقية والأداتية (الشريف الجرجاني) في حين ركز الفقهاء والمناطق على الجانب الإجرائي، نجد الشريف الجرجاني يعرف اللسان بأنه "آلة يُعبر بها عن المعاني".¹ فاللسان هنا هو "الواسطة" أو "القنطرة" التي تربط بين عالم الأفكار المجردة وعالم الشهادة المادي. وهذا التعريف يتقاطع مع رؤية الفارابي الذي اعتبر اللسان جزءاً من صناعة المنطق، حيث تعمل الألفاظ كدوال على المعاني المعقولة في الذهن، مما يجعل اللسان أداة لضبط الفكر ومنع الخطأ في التصور.²

- الرؤية البيانية والجمالية (الجاحظ) لا يمكن الحديث عن اللسان في التراث العربي دون العودة إلى أبي عثمان الجاحظ، الذي نظر للسان بوصفه أداة "البيان". فاللسان عنده هو الذي يخرج المعنى من "حيز الخفاء إلى حيز الجلاء".³ وقد أبدع الجاحظ في وصف العلاقة بين "اللسان" و"الإشارة"، معتبراً أن اللسان هو المترجم الأول عن العقل، وأن بلاغة الإنسان هي دليل كمال عقله وحسن تاريخه وأصالته.⁴

ب- اللسانيات العربية

يعد مفهوم "اللسان" في اللسانيات العربية الحديثة من أكثر المفاهيم التي خضعت لإعادة القراءة والضبط المنهجي، حيث سعى الباحثون العرب المعاصرون إلى التوفيق بين حمولة المصطلح في التراث العربي القديم وبين الصرامة العلمية التي جاءت بها اللسانيات البنيوية (وخاصة السوسيرية).

_ اللسان بوصفه "نظاماً سيميائياً (التعريف البنيوي)

اتجه أغلب اللسانيين العرب المحدثين (أمثال تمام حسان، وعبد السلام المسدي، وخولة طالب الإبراهيمي) إلى تعريف اللسان بكونه "نسقاً من العلامات التواصلية". فهو ليس مجرد أصوات مبعثرة، بل هو نظام متكامل يربط بين الدوال (الأصوات) والمدلولات (التصورات الذهنية)

1 الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص 191.
2 الفارابي، أبو نصر محمد، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1949م، ص 45-47.
3 الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للجمع، بيروت، 1968م، ج1، ص 75.
4 الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، المصدر السابق، ج1، ص 75.

حيث يذهب تمام حسان إلى أن اللسان هو "مجموعة من القواعد والعادات الكلامية التي تعارف عليها مجتمع معين، وهي تمثل الجانب الاجتماعي المستقر للغة.¹ وبذلك، يتميز اللسان في هذا السياق بكونه ظاهرة اجتماعية عامة، تسبق الفرد وتفرض نفسها عليه، وهو ما يجعله قابلاً للدراسة العلمية المستقلة.

ـ التمييز بين اللسان والكلام

اعتمدت اللسانيات العربية الحديثة التمييز الحاسم الذي وضعه دي سوسير بين اللسان (Langue) والكلام (Parole) ففي حين يُنظر للسان كـ "مخزن" أو "سنن" مشترك يمتلكه كل أفراد الجماعة اللغوية في ذاكرتهم، يُنظر للكلام كـ "إنجاز فردي" وتحقيق واقعي لهذا النظام في سياقات محددة.² ويؤكد الباحث مازن الوعر أن اللسان في الدراسات العربية الحديثة يمثل "البنية التحتية المجردة" التي تسمح بعملية التواصل، بينما الكلام هو النشاط الفيزيولوجي والنفسي المتغير من فرد لآخر.³

ـ اللسان بوصفه "ملكة" (المنظور الخلدوني الحديث)

حاول بعض اللسانيين العرب ربط المفاهيم الحديثة بالتراث، فأعادوا تعريف اللسان انطلاقاً من رؤية ابن خلدون الذي اعتبره "ملكة راسخة". وفي اللسانيات الحديثة، تمت ترجمة هذا المفهوم ليتوافق مع "الكفاية اللغوية" (Competence)؛ فاللسان هو تلك القدرة الذهنية التي تمكن المتكلم من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة وفهمها،⁴ ويعرفه إبراهيم أنيس بأنه "نظام صوتي اصطلاحي، يتكون من مجموعة من الرموز التي تعارفت عليها الجماعة للتعبير عما يجول في خاطرها⁵، مشدداً على الجانب الصوتي الوظيفي الذي يميز اللسان عن غيره من نظم الإشارة.

1 حسان، تمام، اللغة العربية معناها وميناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م، ص 31.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2019م، ص 57.

3 الوعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1989م، ص 42.

4 المسدي عيد السلام، اللسانيات وأسسها النظرية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986م، ص 115.

5 أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1976م، ص 19.

ج-اللسان عند التراث العربي الحديث

عند الحديث عن تعريف "اللسان" في التراث العربي الحديث (أو ما يُعرف بالنهضة اللسانية العربية الحديثة)، فإننا بصدد مرحلة انتقالية كبرى. في هذه المرحلة، لم يعد اللسان مجرد "عضو نطق" أو "لغة شاعرية"، بل تحول إلى "ظاهرة علمية" تُدرس وفق مناهج الاستقراء والتحليل البنيوي، مع استصحاب الموروث التراثي العميق (الخليل، سيبويه، ابن جني، وابن خلدون).

1. اللسان بوصفه "ظاهرة اجتماعية ونفسية"

يرى رواد المدرسة اللسانية العربية الحديثة أن اللسان هو الركيزة الأساسية للهوية والاجتماع البشري. ولم يعد التعريف يقتصر على الجانب المادي، بل امتد ليشمل البعد الوظيفي. فأمثال إبراهيم أنيس: يذهب رائد اللسانيات العربية الحديثة إبراهيم أنيس إلى أن اللسان هو "نظام صوتي اصطلاحي"، وهو يشدد هنا على كلمتين: "نظام" (بمعنى اتساق القواعد) و"اصطلاحي" (بمعنى أن المجتمع هو من وضع هذه الرموز واتفق عليه).¹ فاللسان عنده هو الوعاء الذي تصب فيه الجماعة تجاربها، وهو يتكون من أصوات يدركها الحس السمعي لترمز إلى معانٍ ذهنية.

2. اللسان بوصفه "نظاماً من العادات" (الرؤية النسقية)

تأثر اللسانيون العرب المحدثون بالمدرسة البنيوية، فأعادوا صياغة مفهوم اللسان ليكون أكثر دقة وخاصة عند تمام حسان: يعد تمام حسان من أبرز من فضّل في هذا التعريف، حيث يرى أن اللسان هو "مجموعة من العادات اللغوية" التي يشترك فيها أفراد بيئة معينة. ويؤكد أن اللسان يمثل "الجانب الاجتماعي" للغة، وهو نظام مجرد سابق على الفرد، يكتسبه بالتعلم والمحاكاة². وبذلك، فإن اللسان عند حسان هو "المقاييس" التي يزن بها المتكلم كلامه ليكون مفهوماً لدى الآخرين.

1 أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، المرجع السابق، ص 19.

2 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 31-33.

3. اللسان بوصفه "ملكة" (إحياء المفهوم الخلدوني)

حاول الباحثون العرب المحدثون جسر الهوة بين التراث والحداثة، فاستعادوا مفهوم "الملكة" عند ابن خلدون وصبغوه بصبغة لسانية حديثة منهم عبد السلام المسدي: ينظر المسدي للسان باعتباره "القدرة الذهنية المستقرة" التي تسبق عملية النطق. فاللسان هو "السنن (Code)" أو القواعد الكلية التي تتيح للمتكلم إنتاج الكلام. ويرى أن اللسان هو الوجود "بالقوة"، بينما الكلام هو الوجود "بالفعل"¹.

4- اللسان في منظور اللسانيات الجزائرية الحديثة

مع أعمال باحثين جزائريين إن مفهوم اللسان يتخذ لديهم طابعا يركز على "البنية" و"الوظيفة" ونجد هذا التعريف عند خولة طالب الإبراهيمي التي تُعرّف اللسان (ضمن رؤيتها السوسيرية العربية) بأنه "نظام مخزن في ذاكرة كل فرد ينتمي إلى جماعة لغوية واحدة". وتؤكد أن اللسان هو الجزء الاجتماعي من اللغة، وهو يوجد خارج الفرد الذي لا يستطيع وحده خلقه ولا تغييره،² اللسان هنا هو "العقد الاجتماعي" الذي يسمح بالتواصل بين الناس في لحظة زمنية محددة.

د- في التراث الغربي الحديث:

شهد مفهوم "اللسان" في الفكر الغربي تحولات جوهرية انتقلت به من الوصف الفيلولوجي المقارن إلى التحليل البنيوي والتوليدي، حيث أصبح اللسان موضوعاً قائماً بذاته يُدرس لذاته وفي ذاته. ويمكننا رصد هذا التوسع من خلال الاتجاهات التالية:

-الثنائية السوسيرية (اللسان والكلام): يُعد فرديناند دي سوسير

1 المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها النظرية، المرجع السابق، ص 115.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 57-58.

(Ferdinand de Saussure) الأب الروحي لهذا التحول حيث أقام قطيعة معرفية بتمييزه الحاسم بين "اللسان (La Langue) و"الكلام (La Parole) "فاللسان في نظره ليس فعلاً فردياً، بل هو "نظام من العلامات اللسانية المخزنة في أدمغة الجماعة اللغوية"، وهو يمثل الجانب الاجتماعي للغة الذي لا يملكه أحد بمفرده، بل يشترك فيه الجميع بصورة لا واعية.¹ اللسان بهذا المعنى هو "المخزن" أو "القواعد العامة" التي تسبق عملية النطق، بينما الكلام هو التنفيذ الفعلي والفردية لهذا النظام.²

- الوظيفية والتمفصل المزدوج (أندريه مارتينييه):

عمّق أندريه مارتينييه (André Martinet) فهمنا للسان بوصفه أداة تواصلية بامتياز، معتبراً أن اللسان هو النظام الذي يتم من خلاله "تحليل الخبرة البشرية" وصياغتها في قوالب صوتية³. وقد انفرد مارتينييه بطرح مفهوم "التمفصل المزدوج (Double Articulation)"، حيث يرى أن اللسان يتميز بقدرته على تنظيم الأصوات في وحدات ذات معنى (المونيمات)، ثم تنظيم هذه الوحدات في أصوات مجردة (الفونيمات)، وهذا النظام المعقد هو ما يمنح اللسان البشري مرونته وقدرته النهائية على التعبير.⁴

- المدرسة التوليدية والملكة الفطرية (نعوم تشومسكي)

أما نعوم تشومسكي (Noam Chomsky)، فقد نقل مركز الثقل في تعريف اللسان من "المجتمع" إلى "العقل البشري"؛ حيث يرى أن اللسان ليس مجرد عادات اجتماعية مكتسبة، بل هو "ملكة فطرية" كامنة في الدماغ البشري تُسمى (Language Acquisition Device). فاللسان عنده يمثل "القواعد الكلية" أو "النحو العالمي" الذي يسمح للإنسان بإنتاج وفهم عدد غير

1 دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م، ص 27.

2 المرجع نفسه، ص 30.

3 مارتينييه، أندريه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة: نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص 42.

4 المرجع نفسه، ص 44.

متناهِ من الجمل التي لم يسبق له سماعها.¹ وبذلك، أصبح اللسان في المنظور التوليدي موضوعاً ينتمي إلى العلوم المعرفية بقدر ما ينتمي إلى العلوم الإنسانية.

- البنيوية التوزيعية (ليونارد بلومفيلد)

وفي السياق الأمريكي، نجد ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) يميل إلى تعريف اللسان من منظور سلوكي، معتبراً إياه "مجموعة من الردود الكلامية الكامنة والممكنة داخل جماعة معينة"². ركزت هذه المدرسة على الشكل الظاهري للسان (المنبه والاستجابة) واستبعدت الجوانب الذهنية، مما جعل تعريف اللسان في هذه المرحلة يتسم بالصرامة التجريبية والوصفية الدقيقة لبنية اللغة.³

المبحث الثاني: الدال والمدلول

يعتبر الدال والمدلول من الثنائيات اللسانية الحديثة التي تقوم على علاقة ترابطية لا يمكن الفصل بين طرفيها، وقد تبلورت هذه الثنائية في إطار اللسانيات الحديثة مع فرديناند دي سوسير، حيث ارتبطت باسمه وأصبحت تُعرف بالثنائية السوسيرية. ورغم شيوع هذا التصور في الدرس اللساني المعاصر، فإن مصطلحي الدال والمدلول ليسا حديثين من حيث الوجود، بل يمتد استعمالهما إلى بدايات التفكير اللساني القديم، غير أنّ اللسانيات الحديثة أعادت صياغتهما ضمن نسق نظري جديد.

أولاً: تعريف الدال لغة واصطلاحاً

1- لغة:

1 تشومسكي، نعوم، اللغة والذهن، ترجمة: سلمان حسن العاني وهدى محمود قنبر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990م، ص 55-58.

2 تشومسكي، نعوم، البنى التركيبية، ترجمة: مرتضى جواد باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص 21.

3 بلومفيلد، ليونارد، اللغة، ترجمة: محمود السعران، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ص 45.

الفصل الأول الجهود المفاهيمية والاصطلاحية لخولة طالب الابراهيمي

الدال في اللغة "دَلَّ عليه وإليه دلالة: أرشد. ويقال دَلَّه على الطريق ونحوه: سددته إليه. فهو دال، والمفعول مدلول عليه وإليه"¹. وفي التنزيل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾² والدلالة: "الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه. دلائل ودلالات"³.

يُعرّف الدال في اللغة العربية باعتباره أداة إرشاد وكشف، إذ جاء في لسان العرب:

"دَلَّه على الشيء يَدُلُّه دلالةً: أرشده وعرفه الطريق إليه"⁴. ويُفهم من ذلك أن الدال هو ما يُستخدم للهداية والإبانة عن المقصود.

ويذكر الفيومي في المصباح المنير أن:

"الدلالة هي الإرشاد، والدليل ما يُستدلّ به على الشيء"⁵، وهو ما يدل على أن الدال يقوم بوظيفة الوساطة بين العارف والمعلوم.

أما الزبيدي في تاج العروس فيقول:

"الدلالة ما يُهتدى به إلى الشيء، والدالّ: المرشد"⁶، مما يؤكد أن الدال عنصر لغوي مرتبط بفعل الإرشاد والهداية.

ويورد الجوهري في الصحاح أن:

"الدلالة الإبانة، ودلّ الشيء دلالةً إذا بيّنه"⁷، وعليه فإن الدال هو كل ما يُظهر المعنى ويكشفه.

2- اصطلاحاً:

1 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ص 334
2 سورة سبأ، الآية: 14.
3 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 335.
4 ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج11، ص 249.
5 الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، ص 189
6 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج9، ص 45.
7 الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ج3، ص 1012.

يعد مفهوم "الدال" حجر الزاوية في الدراسات اللغوية والدلالية إذ يمثل الواجهة المادية التي من خلالها نعبر إلى عالم المعاني. وقد حظي هذا المفهوم بعناية فائقة وتعددت زوايا النظر إليه بين التراث العربي والغربي واللسانيات العربية والغربية على النحو الآتي:

أ- الدال عند التراث العربي القديم

ان مصطلح الدال في التراث العربي القديم حيث ينظر علماء العرب إلى "الدال" بوصفه دليلاً ومعبراً يربط بين المحسوس والمعقول. ففي كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، نجد أن الدال هو "الشيء الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر غيره"، وكثيراً ما يترادف في هذا السياق مع مصطلح "الدليل".¹

وقد تعمق عبد القاهر الجرجاني في هذا المفهوم ضمن نظريته "النظم"، حيث رأى أن الدال لا يستمد قيمته من جرس صوته منفرداً، بل من موقعه في النسق؛ فالإعجاز والدلالة عنده يقومان على "النظم" الذي يجعل من الألفاظ (الدوال) أدوات تنتقل بالذهن من الصيغة المادية إلى المعنى المقصود، معتبراً الدلالة هي "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر".²

أما في الفكر الأصولي فقد اتسع المفهوم ليصبح وسيلة استدلالية شرعية؛ إذ يعرفه الأملدي بأنه "ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر على وجه مخصوص"، مما يبرز الدور الوظيفي للدال في استنباط الأحكام وإدراك المعاني الخفية من خلال الألفاظ الظاهرة.³

ب- الدال عند اللسانيات العربية

يُعد مفهوم "الدال" في اللسانيات العربية الحديثة أحد أهم الركائز التي قامت عليها حركة "عصرنة" التفكير اللغوي العربي؛ حيث سعى اللسانيون العرب إلى المزاوجة بين مفهوم "اللفظ" في التراث القديم ومفهوم "الصورة الصوتية" في البنيوية الغربية، مبرزين الخصوصية الصوتية والصرفية للغة العربية.

1 التهانوي، محمد بن علي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص 780.

2 الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص 45.

3 الأملدي، سيف الدين، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـ، ج1، ص 28.

ويمكن تفصيل ماهية "الدال" في اللسانيات العربية المعاصرة وفق المستويات الآتية:

ـ الدال بوصفه "صورة صوتية" (المنظور السمعي)

اتفق معظم اللسانيين العرب المحدثين، متأثرين بالمدرسة السوسيرية، على أن الدال ليس هو الصوت المادي العابر الذي يتبخر بمجرد النطق به، بل هو "الأثر النفسي" أو "التمثل الذهني" لذلك الصوت. يرى إبراهيم أنيس أن الدال هو "تلك الصورة الصوتية للكلمة التي تدرك بالحس السمعي"، مؤكداً أن هذه الصورة تعمل كرمز اصطلاحى استقر في عرف الجماعة العربية ليدل على معنى محدد.¹

ويضيف تمام حسان أن الدال يمثل "الجانب المادي المحسوس" من العلامة اللغوية، ولكنه ليس مادياً صرفاً، بل هو مادة "منظمة" داخل نظام اللغة (النسق الصوتي والمنظومة الصرفية العربية).²

ـ الدال وبنية "الجذر" في اللسانيات العربية

تنفرد اللسانيات العربية الحديثة برؤية خاصة للدال ترتبط بطبيعة اللغة العربية الاشتقاقية؛ فالدال هنا ليس مجرد تتابع أصوات، بل هو بنية تتوزع بين "المادة" و"الهيئة":

1. الدال المادي (الجذر): وهو الحروف الأصلية (مثل: ك، ت، ب) التي تحمل أصل المعنى.
2. الدال الصرفي (الوزن): وهو الصيغة التي يسكب فيها الجذر (مثل: فاعل، مفعول) لتعطي دلالة إضافية³. وبذلك، فإن "الدال" في العربية هو مزيج معقد بين الأصوات المجردة والقوالب الصرفية، وهو ما تطلق عليه خولة طالب الإبراهيمي "الانتظام البنيوي للدال".⁴

حدد الباحثون العرب مجموعة من الخصائص التي تحكم عمل "الدال" داخل النسق العربي:

1 أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ، المرجع السابق، ص 25.

2 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 111.

3 الوعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1989م، ص 120

4 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، ص 98-99

• **الاعتباطية: (Arbitrariness)** يؤكد عبد السلام المسدي أن العلاقة بين الدال (أصوات الكلمة) والمدلول (المعنى) في العربية هي علاقة "تلازم عرفي" لا طبيعي؛ فليس في أصوات كلمة "بحر" ما يشير طبيعياً إلى الماء، وإنما هو اصطلاح العرب.¹

• **الخطية: (Linearity)** الدال العربي يتجلى في خط زمني تعاقبي؛ أي أننا ننطق الحرف الأول ثم الثاني وهكذا، ولا يمكن للنظام الصوتي العربي أن يسمح ب بروز عناصر الدال في آن واحد.²

• **القيمة الخلافية:** لا يكتسب الدال قيمته من ذاته، بل من اختلافه عن غيره؛ فالدال "نام" يكتسب قيمته من اختلافه عن "قام" و"صام" من خلال تباين الوحدات الصوتية (الفونيمات).³

يلاحظ الباحثون أن اللسانيات العربية الحديثة لم تلغ مفهوم "اللفظ" التراثي بل قامت بتطويره؛ فالدال عند تمام حسان هو تطوير لمفهوم "اللفظ" عند الجاحظ والجرجاني، ولكن برؤية نسقية تعتبر الدال عنصراً وظيفياً في "سيمولوجيا" اللغة، حيث يكتسب دلالاته من خلال موقعه في "النظم" السياقي والتركيب.⁴

ج-الدال عند التراث العربي الحديث

عند الحديث عن مفهوم "الدال" في التراث العربي الحديث، فإننا نشير إلى تلك المرحلة الانتقالية التي شهدت إعادة قراءة للمصطلحات التراثية القديمة (مثل اللفظ، الحرف، والقول) في ضوء المفاهيم اللغوية التي بدأت تتبلور مع عصر النهضة العربية وبدايات الاحتكاك بالمناهج العلمية. في هذه المرحلة،

1 المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها النظرية، ص 146

2 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، ترجمة: صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م، ص 85.

3 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 98.

4 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 100.

لم يعد الدال مجرد "أصوات مسموعة"، بل أصبح يُنظر إليه بوصفه الأداة المركزية في عملية الإبانة والتعبير عن الفكر.

يمثل الدال في التراث العربي الحديث الواجهة المادية والمحسوسة للغة، وهو ما اصطلاح عليه الرواد الأوائل بـ "اللفظ" الذي تم تطويره ليصبح "دالاً" بنيوياً؛ فالدال في هذه الرؤية هو "الجسم الصوتي" الذي يحمل المعنى ويخرجه من حيز الكمون في العقل إلى حيز الوجود في التواصل. وقد ركز الباحثون في هذا التراث، وعلى رأسهم إبراهيم أنيس، على أن الدال هو "رمز صوتي اصطلاحى" لا يستمد قيمته من جرس حروفه المفردة، بل من الاتفاق الجماعي الذي جعل من هذا التابع الصوتي دليلاً على فكرة بعينها، مؤكداً أن الدال هو "الصورة الصوتية" التي تنطبع في السمع فتستدعي المعنى في الذهن مباشرة.¹

علاوة على ذلك، فقد تميزت نظرة التراث الحديث للدال بربطه الوثيق بـ "النظام"؛ فالدال ليس صوتاً عشوائياً، بل هو وحدة تدخل في نسق من العلاقات التي تحكمها قوانين اللغة العربية. ويرى تمام حسان أن الدال في الفكر العربي الحديث هو "قالب مادي" يتشكل من خلال تضافر الأصوات والوزن الصرفي؛ فالدال في العربية هو "مبنى" يؤدي إلى "معنى"، وهذا المبنى (الدال) هو الذي يمنح العلامة اللغوية طابعها القومي والجمعي. فالدال بهذا المعنى هو أداة "التواضع" التي يمتلكها المجتمع لتنظيم خبراته وتجاربه، وهو يمثل "الجانب الظاهر" من الملكة اللسانية التي استقرت في نفوس المتكلمين.²

وفي إطار السعي لضبط هذا المفهوم، أكد التراث اللساني العربي الحديث (خاصة عند أقطاب المدرسة الجزائرية مثل خولة طالب الإبراهيمية) على أن الدال هو "الطرف المادي" في الثنائية الدلالية، وأنه يندرج تحت النظام المادي باعتباره أصواتاً أو إيماءات أو صوراً محسوسة. إلا أن هذا "المادي" ليس منفصلاً عن "الذهني"، بل هو صورة صوتية تتحد مع التمثل الذهني لتكوين الدليل اللساني. وبذلك،

1 أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، المرجع السابق، ص27.

2 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص115.

فإن الدال في التراث الحديث هو الواسطة التي ينتقل بها الذهن من "المحسوس" (الصوت) إلى "المعقول" (المعنى)، وهو ما يبرز الطبيعة الوظيفية للدال كأداة إجرائية لا غنى عنها في فهم المنظومة اللغوية ككل.¹

د-الدال عند التراث الغربي الحديث ولسانيات الغربية

نجد ان مصطلح الدال في اللسانيات الغربية الحديثة اذ ان "الحداثة الغربية" تمثل المنطلق الفلسفي الذي أعاد تشكيل مفهوم الدال كجزء من بنية العلامة. ويرجع الفضل في ذلك إلى فرديناند دي سوسير، الذي عرف الدال (Signifiant) بأنه "الصورة الصوتية (Acoustic Image)" للكلمة، وهي ليست الصوت المادي بحد ذاته، بل هي الأثر النفسي للصوت في الذهن.²

إن الدال في المنظور الغربي يتميز بخاصيتين جوهريتين:

__ **الاعتباطية:** أي أن العلاقة بين الدال (اللفظ) ومدلوله (المعنى) هي علاقة عرفية اصطلاحية ليس

لها سبب طبيعي

__ **الصفة الخطية،** حيث إن الدال يتجلى في زمن متعاقب لا يمكن النطق بعناصره في آن واحد.³

وقد ذهب البنيويون أبعد من ذلك، حيث اعتبروا أن الدال يكتسب قيمته من "الاختلاف" عن بقية الدوال داخل النظام اللغوي، وليس من جوهره الذاتي.⁴

اما مصطلح الدال في اللسانيات العربية الحديثة نجد انه قد تأثر الباحثون العرب المحدثون بالطروحات الغربية لكنهم صبغوها برؤية تتناسب مع خصوصية اللغة العربية. فقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن الدال هو تلك الصورة الصوتية التي ندركها بحاسة السمع، والتي تُتخذ رمزاً للتعبير عن معنى ذهني مستقر، مؤكداً على الطبيعة "الاصطلاحية" لهذه الرموز.⁵

1 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 78.

2 دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص 79.

3 دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص 81.

4 حجازي، محمود فهمي، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص 54.

5 أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، المرجع السابق، ص 19-21.

من جهته، قدم تمام حسان رؤية تكاملية في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، حيث اعتبر الدال "عنصراً مادياً محسوساً" يدخل ضمن نظام اللغة، سواء كان صوتاً أو رمزاً أو إشارة.¹ ويؤكد حسان أن الدال لا يؤدي وظيفته إلا داخل "نسق لغوي منظم"، حيث تتحكم القواعد النحوية والصرفية في توجيه هذا الدال نحو مدلوله الصحيح، فالدال لا يحمل المعنى في جوهره، بل هو "قالب" يكتسب قيمته من خلال السياق التواصل والاصطلاحي والاستعمالي داخل الجماعة اللغوية.² كما يشير سمير حجازي إلى أن الدال يندرج تحت "النظام المادي" باعتباره إيماءات أو حركات أو صوراً محسوسة، تعمل كاتحاد لصورة صوتية مع تصور ذهني معين.³

ثانياً: تعريف المدلول لغة واصطلاحاً

1- لغة:

يُشتقّ المدلول في اللغة العربية من الجذر (دَلَّ)، ويُراد به ما يقع عليه فعل الدلالة ويكون نتيجة لها. وقد جاء في لسان العرب أن:

"المدلول هو ما دَلَّ عليه اللفظ"⁴، وعليه فالمدلول هو المعنى الذي يُهتدى إليه بواسطة الدال.

ويذكر الزبيدي في تاج العروس أن:

1 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 97.

2 المرجع نفسه، ص 98.

3 حجازي، سمير، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، المرجع السابق، ص 194.

4 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج11، ص 250.

"المدلول عليه هو المقصود بالدلالة"¹، وهو ما يفيد أن المدلول يمثل غاية الدلالة ومآلها.

كما يورد الفيومي في المصباح المنير أن:

"مدلول الكلام ما يُفهم منه"²، مما يدل على أن المدلول يرتبط بالفعل الذهني الناتج عن الفهم.

ويشير الجوهري في الصحاح إلى أن:

"الدلالة إبانة الشيء، والمدلول ما بان بها"³، وبذلك يكون المدلول هو الأثر الناتج عن عملية الإبانة اللغوية.

2- المدلول اصطلاحاً:

يُمثل "المدلول" الجوهر غير المادي في العملية اللسانية، فهو المقصد والغاية التي يسعى الدال للوصول إليها. وقد تباينت حوله الرؤى الأكاديمية بين من يراه صورة ذهنية مجردة، ومن يراه حكماً شرعياً أو قيمة سياقية، ويمكن تفصيل ذلك وفق المسارات التالية:

أما المدلول في التراث العربي القديم خاصة عند البلاغيين والأصوليين تحت مسمى "المعنى"، وقد بلغت هذه الرؤية ذروتها عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". فقد ذهب الجرجاني إلى أن المدلول (المعنى) ليس قيمة معجمية ساكنة، بل هو ثمرة "النظم" والتركيب؛ فالألفاظ لا تدل بذاتها، وإنما تُفضي إلى معانيها من خلال انتظامها وفق علاقات نحوية ومنطقية مخصوصة.⁴

أما في الدرس البلاغي فقد اتخذ المدلول طابعاً استدلالياً حيث عرّفه سيف الدين الآمدي بأنه "ما يُتوصل إليه عن طريق الدلالة"، واعتبره النتيجة العقلية لعملية فهم النص. وقد قسم الأصوليون كيفية وصول الذهن للمدلول إلى طرق ثلاث: "المطابقة" (دلالة اللفظ على تمام معناه)، و"التضمن"

1 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج9، ص 46.

2 الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المرجع السابق، ص 190.

3 الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، المرجع السابق، ج3، ص 1013.

4 الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 52.

(دلالته على جزئه)، و"الالتزام" (دلالته على أمر خارج عنه يلزمه عقلاً أو عرفاً).¹ وهذا التقسيم يبرز مدى الدقة التاريخية التي وصل إليها العرب في تحليل المكون الذهني للعلامة.

كذلك نجد المدلول في اللسانيات العربية الحديثة استلهم الباحثون العرب المحدثون المفاهيم السوسيرية وطبقوها على بنية اللغة العربية مع إضافات سياقية. فقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن المدلول هو "المعنى الذهني" الذي تعارف عليه أفراد الجماعة اللغوية، مشدداً على أن هذا المعنى يكتسب صفة "الاصطلاح" بمرور الزمن، بحيث يصبح اللفظ (الدال) مستديماً للصورة الذهنية (المدلول) بمجرد سماعه.²

من جانب آخر، قدم تمام حسان رؤية "نسقية" للمدلول، معتبراً إياه المكون الذهني الذي لا يمكن فهمه بمعزل عن "المقام" و"السياق". فالمدلول عند حسان ليس ثابتاً، بل هو طاقة دلالية تتشكل وتتغير بتغير الاستعمال والسياق الذي ترد فيه العلامة، وهو ما يجعله حصيلة لعملية الفهم والتأويل داخل النسق اللغوي المتكامل.³ كما يؤكد حسان أن المدلول يمثل "الطرف غير المادي" في الثنائية الدلالية، وهو بهذا المعنى يندرج تحت النظام الذهني كفكرة أو معنى، بينما يظل الدال حبيس النظام المادي الصوتي.⁴

وان مفهوم "المدلول" في التراث العربي الحديث بوصفه "المحتوى الذهني" الذي تشكل عبر مخاض طويل من الثقافة مع اللسانيات الغربية وإعادة قراءة التراث. فقد ذهب عبد السلام المسدي في تأصيله للمصطلح إلى أن المدلول ليس المعنى المعجمي القار، بل هو "القيمة" التي تكتسبها العلامة داخل النسق؛ فالمدلول عنده كيان مجرد يتحدد بموقعه من المدلولات الأخرى في شبكة اللغة، وهو ما يجعل منه وحدة نفسية جماعية وليست فردية.⁵ هذا التصور يخرج بالمدلول من دائرة "الشيء" الخارجي إلى

1 الأمدي، سيف الدين، الإحكام في أصول الأحكام، ط1، 1404هـ، ج1، ص 30.

2 أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص 24-26.

3 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 100.

4 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 99.

5 المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها النظرية، المرجع السابق، ص 145.

دائرة "التصور" الذهني، وهو ما أكد عليه ميخائيل نصار حين اعتبر المدلول نتاجاً لعملية سيميائية معقدة تربط بين الفكر والواقع عبر وسيط اللسان.¹

وفي ذات السياق، قدم عبد الرحمن الحاج صالح رؤية مغايرة من خلال "النظرية الخليليلية الحديثة"، حيث نظر إلى المدلول (أو المعنى) باعتباره أثراً وظيفياً ينتج عن "الوضع" اللغوي. فالمدلول في هذا التراث ليس مجرد فكرة هلامية، بل هو "المقصد" الذي يتم استحضاره في الذهن عبر قرائن النظم. ويرى أن المدلول يتحدد عبر "العلاقة التضامنية" بين الوحدات اللغوية، وهو ما يربط بين الفكر التراثي القديم ومطالب اللسانيات الوظيفية المعاصرة في فهم كيفية تحول الأصوات إلى مفاهيم عقلية واضحة.²

علاوة على ذلك، يطرح صلاح فضل في دراساته حول علم الدلالة الحديث رؤية ترى في المدلول "بنية تصويرية" ترتبط بالثقافة والبيئة؛ فالمدلول ليس ثابتاً عبر العصور، بل هو كائن تاريخي يتطور بتطور المجتمعات. وبذلك، فإن المدلول في التراث العربي الحديث هو "حصيلة دلالية" تنتج عن تفاعل الدال مع مخزون المتلقي الثقافي والمعرفي، وهو ما يبرز طابعه الديناميكي الذي يتجاوز مجرد كونه وجهاً ثانياً للدال، ليصبح جوهر التجربة الإنسانية المودعة في اللغة.³

يتسم مفهوم "المدلول" (Signified / Signifié) في التراث الغربي الحديث بكونه المحور الذي نقل الدراسات اللغوية من الانشغال بـ "تاريخ الكلمات" إلى دراسة "بنية الفكر"؛ حيث لم يعد يُنظر إليه كشيء مادي موجود في العالم الخارجي، بل ككيان ذهني صرف.

ويمكن بسط تعريف المدلول في الفكر الغربي الحديث وفق الفقرات التحليلية الآتية:

تأسس المفهوم الحديث للمدلول مع **فرديناند دي سوسير** (Ferdinand de Saussure)، الذي أحدث ثورة في علم اللسان حين قرر أن المدلول ليس هو "الشيء" (Chose) بل هو "التصور الذهني" (Concept). "ففي الثنائية السوسيرية، يمثل المدلول الوجه النفسي للعلامة، وهو لا ينفصل

1 نصار، ميخائيل، محاضرات في علم الدلالة، منشورات جامعة دمشق، 2003م، ص 72.

2 الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص 118.

3 فضل صلاح، علم الدلالة (دراسة تطبيقية)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1992م، ص 54.

عن الدال إلا كما لا ينفصل وجه الورقة عن ظهرها. ويرى سوسير أن المدلول كيان معطى من قبل النسق اللغوي للمجتمع، وهو يتميز بكونه "اعتباطياً"؛ أي أن ارتباطه بصورة صوتية معينة ليس له مبرر منطقي أو طبيعي، بل هو نتاج تواضع اجتماعي محض.¹

وفي مرحلة لاحقة، تعمق لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) في تحليل المدلول من خلال ما عرف بـ "لسانيات النص"، حيث قسّم المدلول إلى "شكل المضمون" و"جوهر المضمون". ويرى هيلمسليف أن المدلول ليس مجرد فكرة عامة، بل هو الطريقة التي تقوم بها اللغة "بتشكيل" المادة الفكرية الخام؛ فكل لغة غربية تقسم العالم وتصنفه في مدلولات تختلف عن اللغة الأخرى (مثلاً: تقسيم الألوان أو درجات القرابة)، مما يجعل المدلول وحدة بنيوية تتحدد قيمتها من خلال تعارضها مع الوحدات الأخرى داخل النظام.²

أما في التوجهات الوظيفية، فقد ركز أندريه مارتينييه (André Martinet) على الجانب النفعي للمدلول، معتبراً إياه حصيلة لتحليل الخبرة البشرية؛ فالمجتمعات البشرية تعتمد إلى تكثيف تجاربها في "مدلولات" (أو مونيومات) يسهل تداولها لغرض التواصل. ويذهب مارتينييه إلى أن المدلول هو الوحدة الدنيا ذات المعنى التي تنتج عن "التمفصل الأول" للغة، وهو بهذا المعنى يرتبط بحاجة الإنسان إلى نقل المعارف والمقاصد بأقل جهد صوتي ممكن، مما يمنح المدلول طابعاً حركياً يرتبط بتطور الحاجات البشرية.³

وفي الفكر السيميائي (السيميولوجي) عند رولان بارت (Roland Barthes)، اتسع تعريف المدلول ليشمل الأبعاد الثقافية والأيديولوجية؛ إذ لم يعد المدلول مجرد معنى حرفي (Denotation)، بل أصبح يحمل "مدلولات إيحائية" (Connotation). "فالعلامة في الفكر الغربي المعاصر قد تحمل دالاً واحداً ولكنها تحيل إلى شبكة معقدة من المدلولات التي تفرضها الأساطير المعاصرة والأنظمة الثقافية، مما يجعل من المدلول "بنية مفتوحة" خاضعة لعمليات التأويل المستمرة.⁴

Saussure, Ferdinand de, Cours de linguistique générale, Édition Payot, Paris, 1916, p. 99.1

Hjelmslev, Louis, Prolegomena to a Theory of Language, University of Wisconsin Press, 1961, p. 52.2

3 Martinet, André, Éléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris, 1960, p. 20.

4 Barthes, Roland, Éléments de sémiologie, Éditions du Seuil, Paris, 1964, p. 45.

نجد مصطلح المدلول في اللسانيات الغربية الحديثة خاصة عند فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) الذي يعد المؤسس الأول للمفهوم الحديث للمدلول؛ إذ يرى أنه "التصور الذهني (Concept) "الذي يقترن بالصورة الصوتية (الدال) داخل العلامة اللغوية"¹. ويؤكد سوسير على نقطة في غاية الأهمية التاريخية والمنهجية، وهي أن المدلول ليس هو "الشيء المادي" الموجود في الواقع الخارجي، بل هو "الفكرة" أو "التمثل الذهني" عن ذلك الشيء. فالعلاقة بين الدال والمدلول عنده هي علاقة تلازمية تشبه وجهي الورقة الواحدة، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وهي علاقة قائمة على العرف الاجتماعي لا على الضرورة الطبيعية.²

3- علاقة الدال والمدلول في اللسانيات الحديثة

اعتبرت ثنائية الدال والمدلول من أسمى الثنائيات المفاهيمية في اللسانيات الحديثة إذ تركز في جوهرها على علاقة ترابطية وثيقة أي بشكل شديدة التلاحم، بحيث يستحيل منهجياً أو واقعياً الفصل بين طرفيها داخل البنية اللسانية. وقد تبلور هذا التصور النسقي بشكل جلي ضمن أطروحات اللسانيات البنيوية مع العالم السويسري "فرديناند دي سوسير"، الذي اقترن اسمه بهذه الثنائية حتى غدت تُعرف في الأدبيات اللغوية بـ "الثنائية السوسيرية".³ وعلى الرغم من الهيمنة التي فرضها هذا التصور على الدرس اللساني الحديث، إلا أن التدقيق التاريخي يثبت أن مفهومي الدال والمدلول ليسا من المستحدثات المطلقة، بل تضرب جذورهما عميقاً في أصول التفكير اللغوي القديم، غير أن عبقرية اللسانيات الحديثة تجلت في إعادة إنتاجهما وصياغتهما ضمن نسق نظري يتسم بالدقة والصرامة العلمية.⁴

ويطلق اللسانيون على هذا الكيان المتكوّن من الدال والمدلول اسم الدليل اللسانيّ ويقصد بالدليل اللسانيّ الكلمة أو المفردة، سواء كانت اسماً أو فعلاً أو صفة أو أداة، وقد استُخدم هذا المصطلح لتمييزه عن غيره من الدلائل الأخرى الموجودة في حياة الإنسان. فالدلائل في الواقع كثيرة ومتنوعة؛ كالأشارات

1 دي سوسير، فرديناند، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة: يوسف وغليسي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2008م، ص 67.

2 المرجع نفسه، ص 68.

3 دي سوسير، فرديناند، محاضرات في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 67.

4 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 98.

المروية، والرموز، والأيقونات، والدخان، والسحاب، وكلها تُعدّ دلائل سيميولوجية. أمّا الدليل اللسانيّ فيتميّز بانتمائه إلى اللغات البشرية، ويُعدّ موضوعًا خاصًا بعلم اللسانيّات، في حين تندرج الدلائل الأخرى ضمن مجال علم العلامات (السيميولوجيا). وعلى الرغم من اختلاف هذه الدلائل في طبيعتها ومجالاتها، فإنّ القاسم المشترك بينها جميعًا هو كونها دالة¹.

وقد يعرف الدال في اللسانيّات بأنّه الصورة اللفظية للدليل اللسانيّ، أي شكله المنطوق أو المكتوب. وقد عبّر دي سوسير عن ذلك بمصطلح «الصورة الصوتية»، باعتبار أنّ الأصل في اللغة هو الكلام المنطوق ويتكوّن الدالّ غالبًا من مجموعة من الأصوات أو الفونيمات وهي الوحدات الصوتية الدنيا التي لا تحمل معنى في ذاتها، غير أنّها تكتسب قيمتها الدلالية من خلال انتظامها داخل بنية لغوية معيّنة وتظهر وظيفة هذه الوحدات الصوتية من خلال قابليتها للتمايز إذ يؤدي استبدال وحدة صوتية بأخرى إلى تغيير المعنى وانتقال الكلمة من مجال دلالي إلى مجال آخر².

أما المدلول فهو المحتوى الذهني أو التصور المجرد الذي يُقابل الدالّ داخل الدليل اللساني ويتمثل المدلول في صورة عقلية تتكوّن في الذهن عند سماع اللفظ أو نطقه دون أن تكون مرتبطة بخصائص الشيء الخارجي من حيث شكله أو لونه أو قيمته فعند استعمال دليل لساني مثل كلمة «قلم» تتشكّل في الذهن صورة عامّة للقلم بوصفه مفهومًا مجردًا، بغضّ النظر عن أنواعه أو صفاته المادية وبالمقابل فإن تغيير أحد عناصر الدالّ، ولو تغييرًا بسيطًا، يؤدي إلى تغيير المدلول بالضرورة، والانتقال إلى معنى مغاير³.

وتؤكد اللسانيّات الحديثة في إطار التصور السوسيري أنّ الدليل اللسانيّ يقوم على مبدأ الاعتباطية أي أنّ العلاقة بين الدالّ والمدلول ليست علاقة طبيعية ولا منطقية بل علاقة اصطلاحية توافقية فلا توجد رابطة جوهرية بين الأصوات التي يتكوّن منها الدال وبين المعنى الذي يحمله المدلول ويتجلى ذلك

1 المرجع نفسه، ص 97-101

2 إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، المرجع السابق، ص 18-26

3 عبد السلام المسدي، اللسانيّات وأسسها المعرفية. المرجع السابق، ص 55-60.

بوضوح في اختلاف تسميات الأشياء من لغة إلى أخرى فلو كانت العلاقة غير اعتباطية لكان لكل مدلول دالّ واحد ثابت في جميع اللغات وهو أمر غير ممكن.¹

المبحث الثالث: مفهوم النظام اللغوي

يُعد مفهوم "النظام اللغوي" linguistic system الثمرة الكبرى التي أنتجتها اللسانيات الحديثة، حيث نقلت اللغة من كونها مجرد ركام من الألفاظ المبعثرة إلى كائن عضوي محكم البناء؛ ففي التراث الغربي الحديث، تأسس هذا المفهوم مع **فرديناند دي سوسير** الذي أرسى قاعدة ذهبية مفادها أن اللغة ليست "قائمة أسماء" بل هي "نظام من العلاقات" المتشابكة. فالعناصر اللغوية في المنظور الغربي لا تكتسب قيمتها من جوهرها الذاتي، بل من خلال موقعها ووظيفتها داخل النسق، وعبر تضادها مع بقية العناصر؛ تماماً كقطع الشطرنج التي لا تكتسب أهميتها من المادة التي صُنعت منها، بل من القواعد الكلية التي تحكم حركتها في اللعبة. وقد عمق هذا الطرح **لويس هيلمسليف** الذي رأى في النظام اللغوي "بنية مجردة" تسبق ممارسة الكلام، وهي التي تمنح الفكر البشري صورته المنظمة وتخرجه من سديم الهلامية إلى الوضوح الدلالي.²

وفي المقابل، استلهمت اللسانيات العربية الحديثة هذا المفهوم وأعادت تبنيته ضمن خصوصية اللسان العربي، محاولةً التوفيق بين عبقرية "النظم" الجرجاني وصرامة "البنوية" المعاصرة. ويبرز هنا التصور المنهجي الذي قدمه **تمام حسان**، حيث نظر إلى النظام اللغوي بوصفه "مجموعة من المواضع الاجتماعية" التي تتكامل فيها عدة أنظمة فرعية لتشكل البنية الكلية للغة. ويرى حسان أن النظام هو الضابط الحقيقي للمعنى، وأن أي تحليل لغوي رصين يجب أن ينطلق من فهم "تضافر القرائن" داخل هذا النظام، حيث لا يعمل أي مستوى بمعزل عن الآخر. فالتداخل بين الأصوات والصرف والنحو والمعجم يمثل

1 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 50-55

2 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 105-108.

شبكة وظيفية تهدف إلى تحقيق التواصل بأعلى درجات الدقة، وهو ما يجعل من "النظام" في الفكر العربي الحديث أداة إجرائية للكشف عن عبقرية اللغة في بناء المقاصد.¹

ومن التكامل هذا تبلورت مستويات الدراسة اللغوية التي أطلق عليها تمام حسان تسمية "المناهج"، وهي أطر مترابطة تبدأ من "منهج الأصوات" بوصفه القاعدة المادية، مروراً بـ "منهج التشكيل الصوتي" و"منهج الصرف" الذي يعنى ببنية الكلمة، وصولاً إلى "منهج النحو" الذي يضبط العلاقات التركيبية، وانتهاءً بمناهج "المعجم والدلالة" التي تمثل قمة الهرم النظامي. هذا التصور المنهجي يجعل من النظام اللغوي "بنية مغلقة" من حيث قوانينها، لكنها "مفتوحة" من حيث قدرتها على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل فاللغة بهذا المعنى هي نظام من الوسائل يخدم نظاماً من الغايات، وهو ما أكدته أيضاً خولة طالب الإبراهيمي حين اعتبرت أن الإحاطة بالظاهرة اللغوية تتطلب تحليلاً نسقياً يربط بين هذه المستويات المتداخلة للكشف عن الآلية التي يتحول بها الصوت المحسوس إلى معنى معقول ومفهوم لدى الجماعة اللغوية.²

1-المستوى الصوتي: audio level

اذ يمثل هذا المستوى البعد المادي الأول للغة كما يدرك اللغة في صورتها الأولى من خلال الأصوات المنطوقة، ويهتم هذا المستوى بدراسة كيفية إنتاج الأصوات وخصائصها الفيزيائية والعضوية، دون النظر إلى معناها، ممّا يجعله الأساس الذي تُبنى عليه المستويات الأخرى.

أمّا المستوى الصوتي، فينتقل من وصف الصوت إلى دراسة وظيفته داخل النظام اللغوي، حيث تُنظر الأصوات بوصفها وحدات تمييزية تؤدي دوراً في التفريق بين المعاني، وهو ما يُبرز البعد النسقي للصوت داخل اللغة.³

1 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 92-95.
2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 115.
3 كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 65.

2- المستوى الصرفي Morphological level

يأتي المستوى الصرفي ليدرس بنية الكلمة وصيغها وتحولاتها، مبيناً كيف تنتظم الأصوات داخل قوالب صرفية تحمل قيماً دلالية، مما يجعل الصرف حلقة وصل بين الصوت والمعنى.

3- المستوى النحوي: Grammatical level :

ان المستوى النحوي يُعنى بدراسة العلاقات التركيبية بين الكلمات داخل الجملة، ويكشف عن القواعد التي تنظم انتظام المفردات في سياق لغوي معيّن، وهو مستوى يُبرز البعد التركيبي للنظام اللغوي¹.

4- المستوى الدلالي: Semantic level :

يختص المستوى المعجمي بدراسة المفردات من حيث معناها واستعمالها والعلاقات التي تربطها بغيرها من الألفاظ داخل اللغة، مبرزاً البعد المخزوني للغة بوصفها رصيذاً من الوحدات الدلالية.

كما المستوى الدلالي المستوى الذي تتلاقى فيه بقية المستويات، إذ يهتم بدراسة المعنى في نشأته وتطوّره، وكيفية تشكّله من خلال تفاعل الصوت والصيغة والتركيب والسياق، وهو ما يؤكد أن المعنى نتاج نسقي لا يتحقق إلا بتكامل المستويات اللغوية.

ويُعد المستوى الصوتي أو منهج الأصوات أول هذه المستويات وأساسها، نظراً لكون الصوت هو المادة الأولى التي تتجسّد بها اللغة في الواقع، ويهتم هذا المستوى بدراسة الأصوات اللغوية من حيث مخارجها وصفاتها والآليات العضوية والفيزيائية التي تتحكّم في إنتاجها، كحركة أعضاء النطق من لسان وشفاه وحنجرة، إضافة إلى الخصائص الفيزيائية للصوت من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة. ويهدف هذا المستوى إلى وصف الأصوات وصفاً دقيقاً يبيّن كيفية تشكّلها وانتقالها وإدراكها².

1 عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المرجع السابق، ص 83-90.

2 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 09.

وقد ميّز الدرس اللسانيات الحديثة بين الدراسة الصوتية (الفونتيك) والدراسة الصوتية (الفونولوجي)، حيث تُعنى الأولى بدراسة الصوت في ذاته بوصفه ظاهرة فيزيائية عضوية، دون النظر إلى وظيفته الدلالية داخل اللغة، بينما تهتم الثانية بدراسة الأصوات من حيث وظيفتها داخل النظام اللغوي، أي بوصفها وحدات مميّزة تُسهم في التفريق بين المعاني. فالصوت في الإطار الصوتي لا يُدرس لذاته، بل لقدرته على إحداث فرق دلالي داخل البنية اللغوية³.

ويلاحظ في هذا السياق وجود تقاطع واضح بين التصور القديم الذي قدّمه ابن جني والتصور اللساني الحديث الذي بلوره تمام حسان. فقد انطلق ابن جني من الطبيعة الصوتية للغة، مؤكداً أن الأصوات هي الأساس الذي تُبنى عليه اللغة¹، وأن اختلاف الأصوات يؤدي إلى اختلاف المعاني، وهو ما يتجلى في حديثه عن الإبدال الصوتي وأثره في تغيير الدلالة². غير أن هذا التصور ظلّ في إطار وصفي تقليدي، في حين جاء تمام حسان ليطور هذا الجانب ضمن إطار منهجي حديث، يقوم على التمييز بين المستويين الصوتي والصوتي، وربط الصوت بوظيفته داخل النسق اللغوي العام³.

وبذلك يتضح أن المستوى الصوتي لا يمثّل مجرد مرحلة أولى في دراسة اللغة، بل يشكّل قاعدة أساسية تنبني عليها بقية المستويات، إذ لا يمكن دراسة الصرف أو النحو أو الدلالة دون الإحاطة بالبنية الصوتية التي تُجسّد اللغة في صورتها المنطوقة، وهو ما يؤكد الطابع النسقي المتكامل للنظام اللغوي⁴.

المبحث الرابع: التأثير السوسيري الاصطلاحي والمنهجي على خولة طالب الابراهيمى

كان محاولة جادة لإعادة إنتاج الفكر السوسيري ضمن خصوصية اللسان العربي. ويتجلى هذا الحضور السوسيري في متن كتاب لخولة طالب الابراهيمى عبر مستويين متكاملين أولهما اصطلاحى تمثل في استعارة الجهاز المفاهيمى البنيوي وصهره في منظومة لسانية عربية موحدة، وثانيهما منهجي تجسّد في تبني الرؤية النسقية التي تنظر إلى اللغة كبنية متكاملة من العلاقات الترامنية. هذا التمازج

1 ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، دبت، ج2، ص 145 وما بعدها

2 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 45.

3 المرجع نفسه، ص 52

4 أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1975م، ص 12-15.

المنهجي جعل من السوسيرية لدى الإبراهيمي ركيزةً فكرية استطاعت من خلالها ضبط المصطلحات اللسانية وتخليصها من ضبابية التأويل، مؤسّسةً بذلك لرؤية علمية تسعى لاستنطاق النظام اللغوي في ذاته ولأجل ذاته.

1. التأثير الاصطلاحي السويسري على خولة طالب الإبراهيمي

لقد استدجحت الباحثة خولة طالب الإبراهيمي الجهاز المفاهيمي الذي وضعه سوسير، ليس كقوالب جاهزة، بل كمنظومة تحليلية متكاملة. ويتجلى ذلك في:

ثنائية اللسان (Langue) والكلام: (Parole) تبنت الإبراهيمي هذا التمييز السوسيري كقاعدة انطلاق لتحديد موضوع علم اللسان؛ فاللسان عندها — كما عند سوسير — هو "نظام اجتماعي وقواعد مخزنة في الذاكرة الجماعية".¹ وقد أكدت الباحثة أن دراسة اللغة الحقيقية يجب أن تنصب على "اللسان" بوصفه المؤسسة الاجتماعية، بينما يظل "الكلام" فعلاً فردياً لا يخضع للتقنين العلمي الصارم.²

ثنائية الدال والمدلول (العلامة اللغوية): يظهر أثر سوسير جلياً في تعريف الإبراهيمي للعلامة اللغوية بأنها كيان نفسي مزدوج يربط بين "الدال" (الصورة الصوتية) و"المدلول" (التصور الذهني). وقد استندت في ذلك إلى مبدأ "الاعتباطية" السوسيري، مؤكدة أن الرابط بين اللفظ ومعناه في العربية هو رابط عرفي تواضعي، حيث تقول في معرض حديثها عن الدلالة: "إن القيمة الدلالية للوحدة اللغوية تتحدد من خلال موقعها في النظام وفوارقها مع الوحدات الأخرى"³، وهو صدى مباشر لقول سوسير بأن "في اللسان لا توجد إلا الاختلافات"⁴

1 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 31.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 57.

3 المرجع نفسه، ص 65.

4 دي سوسير، فرديناند، المرجع السابق، ص 166.

المصطلح اللساني الموحد: عملت الإبراهيمي على صياغة مصطلحات مثل "الدليل اللساني" و"السننية" و"المنظومة" انطلاقاً من المفهوم السوسيري للغة كـ "نظام (Système)"، مما ساهم في ضبط المصطلحات اللسانية العربية وتخليصها من التعددية المربكة.¹

2. التأثير المنهجي لفيرناند دي سوسير على خولة طالب الإبراهيمي

تجاوز تأثير سوسير على الإبراهيمي حدود المصطلح ليصل إلى جوهر المنهجية المتبعة في التحليل، وذلك عبر الركائز التالية:

أولوية المنهج التزامني (Synchronie): أحدث سوسير قطيعة مع البحث التاريخي (الدياكروني) الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر، وهو المنهج الذي تبنته الإبراهيمي في كتابها؛ إذ دعت إلى دراسة اللغة العربية في حالتها الراهنة كنسق مستق.² ترى الإبراهيمي أن فهم النظام اللغوي يتطلب "تجميد الزمن" لدراسة العلاقات القائمة بين العناصر في لحظة محددة، مما يسمح بالكشف عن القوانين الداخلية التي تحكم اللغة.³

التحليل النسقي وترابط المستويات: طبقاً للمنهج السوسيري الذي يرى اللغة "نظاماً يمسك بعضه بعضاً"، عرضت الإبراهيمي مستويات التحليل اللساني (الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي) بوصفها مستويات متفاعلة.⁴ فالبنوية عند الإبراهيمي ليست مجرد وصف للأجزاء، بل هي إدراك للكيفية التي تساهم بها الأصوات في تشكيل الصرف، وكيف يؤدي النحو وظيفته في إنتاج الدلالة داخل "بنية واحدة متماسكة".⁵

1 جبار، كمال، "المصطلح اللساني في الدراسات اللسانية العربية: كتاب مبادئ اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي أنموذجاً"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 7، العدد 1، 2013م، ص 269

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع سابق، ص 112.

3 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، المرجع سابق، ص 117

4 يونس علي، محمد محمد، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004م، ص 9.

5 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع سابق، ص 120.

اللسانيات كعلم مستقل: استلهمت الباحثة دعوة سوسير الختامية في كتابه (دروس في اللسانيات العامة) بأن يكون موضوع اللسانيات هو "اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها".¹ وقد تجلّى ذلك في كتابها من خلال محاولتها فصل الدراسات اللسانية عن الأطر التعليمية التقليدية أو المعايير "الصحيح والخطأ"، والتركيز بدلاً من ذلك على وصف "الواقع اللغوي" وتحليله تحليلًا علميًا موضوعيًا.²

خلاصة الفصل

يتضح من هذا الفصل أن جهود خولة طالب الإبراهيمي في المجال المفاهيمي والاصطلاحي للغة العربية تمثل إسهامًا منهجيًا ونظريًا رصينًا في اللسانيات المعاصرة. فقد اعتمدت في مقاربتها على الأسس السوسيرية، وخاصة الثنائية بين الدال والمدلول، وعلى المنهج البنوي الذي يربط بين مستويات اللغة المختلفة (الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي والمعجمي) ضمن نظام واحد متكامل.

كما أظهرت أن دراسة اللغة لا تقتصر على جمع الظواهر الصوتية أو الكلمات، ولا على تتبع التطور التاريخي أو الاستخدام الفردي، بل تتطلب تحليلًا نسقيًا تزامنيًا يتيح فهم العلاقات البنيوية الداخلية وتحديد معنى كل مصطلح داخل السياق الكلي للغة. وبذلك، استطاعت الإبراهيمي تقديم إطار منهجي واضح للمصطلحات والمفاهيم اللسانية، مع ربطها بشكل عملي بالتحليل اللغوي العربي، ما جعل كتابها مبادئ في اللسانيات مرجعًا متكاملًا لتطبيق النظرية البنيوية على اللغة العربية.

1 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، المرجع سابق، ص 317.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، المرجع سابق، ص 14.

الفصل الثاني :

"آليات التطبيق المنهجي والتحليلي في كتاب "مبادئ في اللسانيات".

- المبحث الأول: إجرائية الثنائيات السوسيرية في مقارنة الإبراهيمي
- المبحث الثاني: تحليل مستويات النظام اللغوي (دراسة تطبيقية للمناهج الستة)
- المبحث الثالث: فاعلية المنهج التزامني في قراءة الظاهرة اللغوية

خلاصة الفصل

تمهيد

اعتبر الانفتاح على المناهج اللسانية الحديثة ضرورة معرفية فرضتها التحولات الجذرية التي شهدتها علم اللسان مع مطلع القرن العشرين، خاصة بعد الثورة المنهجية التي أحدثها "فرديناند دي سوسير" بجعله اللغة نسقاً مغلقاً ومستقلاً يدرس في ذاته ولأجل ذاته. ولم يكن الفكر اللساني العربي بمنأى عن هذه التحولات، إذ سعى الباحثون العرب إلى استثمار هذه الآليات الوافدة لتنقية الدرس اللغوي من الشوائب المعيارية والتاريخية التي لازمته قروناً طويلة. وفي هذا السياق، برزت مدرسة اللسانيات في الجزائر كواحدة من أكثر المدارس حركية في تبيئة هذه المناهج، حيث مثل كتاب "مبادئ في اللسانيات" للباحثة خولة طالب الإبراهيمي محاولة جادة لإعادة صياغة المفاهيم السوسيرية ضمن خصوصية اللسان العربي. إن هذا المسعى لم يتوقف عند حدود النقل والترجمة، بل تجاوزه إلى ممارسة "نقدية تطبيقية" حاولت رصد فاعلية الثنائيات البنيوية (كاللسان والكلام، والبدال والمدلول) في تشريح الظاهرة اللغوية العربية. ومن هنا، يكتسي البحث في أثر السوسيرية على الفكر اللساني عند الإبراهيمي أهمية بالغة، كونه يكشف عن كيفية تطويع المنهج الغربي لخدمة قضايا لغوية محلية، ويبرز مدى قدرة المبادئ البنيوية على تقديم قراءة وصفية دقيقة للنظام اللغوي العربي في مستوياته المختلفة.

المبحث الأول: إجرائية الثنائيات السوسيرية في مقاربة الإبراهيمي

تمثل الثنائيات السوسيرية (اللسان/الكلام، الدال/المدلول، التزامن/التعاقب) الهيكل العظمي لكتاب "مبادئ في اللسانيات"؛ إذ لم تكتفِ الإبراهيمي بعرضها كمعطيات تاريخية، بل جعلت منها "آليات إجرائية" لفك شفرات النظام اللغوي.

أولاً: تطبيق ثنائية (اللسان/الكلام)

تتجلى إجرائية هذه الثنائية عند خولة طالب الإبراهيمي في محاولتها لفك الاشتباك بين اللغة كـ "نظام مجرد" وبين ممارساتها "الواقعية المتعددة". ويمكن رصد تطبيقها لهذا المبدأ عبر النقاط التالية:

1- عزل موضوع الدراسة

تعتمد خولة طالب الإبراهيمي في طرحها لمفهوم "اللسان (Langue)" على استراتيجية "التجريد المنهجي"؛ حيث ترى أن الخطوة الأولى لإرساء دعائم درس لساني عربي حديث تكمن في تخلص الظاهرة اللغوية من تعقيداتها الخارجية (النفسية والبيولوجية والاجتماعية) التي تظهر في "الفعل الكلامي" الفردي¹. وتتجلى إجرائية هذا العزل لديها في المستويات التالية:

- تحقيق التجانس المنهجي: من خلال حصر موضوع الدراسة في "اللسان" بوصفه نظاماً من القواعد المجردة المخزنة في الذاكرة الجمعية، استطاعت الباحثة أن تتجاوز فوضى "الكلام" (Parole) المتسم بالتشتت والتغير من فرد لآخر. هذا العزل منحها القدرة على وصف اللغة العربية كبنية هندسية متكاملة يفسر فيها كل عنصر العناصر الأخرى².

- الانتقال من "الواقعة" إلى "القانون": طبقت الباحثة مبدأ الفصل السوسيري لتحويل اللغة من "حدث عابر" مرتبط بظروف النطق والسياق الشخصي، إلى "موضوع معرفي مستقر". وبذلك،

1 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 45.

2 فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي ومجموعة، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 31.

استبعدت المتغيرات الأدائية والأساليب الفردية، لتركز على "المبادئ" الثابتة التي تمنح النظام اللغوي هويته، مما أضفى صبغة علمية وموضوعية على كتابها¹.

- تأسيس المسافة العلمية: إن عزل موضوع الدراسة عند الإبراهيمي لا يعني إهمال الاستعمال الواقعي، بل هو ضرورة إجرائية لبناء قوانين لسانية قابلة للتعميم؛ إذ لا يمكن فهم "الفرع" (الكلام) إلا بعد الإحاطة بآليات "الأصل" (اللسان)².

2- تحليل واقع التعدد اللغوي (الفصحى والعاميات)

تتجاوز خولة طالب الإبراهيمي في تحليلها لواقع التعدد اللغوي مجرد الوصف السطحي، لتجعل من ثنائية (اللسان/الكلام) (محسناً معرفياً) "يفكك العلاقة بين الفصحى والعاميات. ويتجلى هذا التوسيع الإجرائي في النقاط التالية:

- توصيف الفصحى كـ "لسان مرجعي": طبقت الباحثة مفهوم اللسان السوسيري على "العربية الفصحى" باعتبارها النظام التجريدي الثابت والمخزن المشترك الذي يحقق الوحدة التواصلية العابرة للحدود والجغرافيا. فالفصحى عندها تمثل "اللسان المؤسسة" الذي يمتلك الصرامة القواعدية والاستمرارية التاريخية، مما يجعله الضامن لهوية النظام اللغوي³.

- إعادة الاعتبار للعاميات كـ "ممارسات كلامية": بدلا من إقصاء العاميات، نظرت إليها الإبراهيمي بوصفها تمثلات "كلامية" (Parole) "أو أنظمة فرعية تعكس حركية المجتمع وتعدد سياقاته التفاعلية. هذا المنظور سمح لها بدراسة "الازدواجية اللغوية" (Diglossia) ليس

1 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 48.

2 عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المرجع السابق، ص 72.

3 خولة طالب الإبراهيمي، الجزائر: التعايش اللغوي المأزق، المصدر السابق، ص 88.

كصرع، بل كعلاقة تكاملية بين "النظام التجريدي" (اللسان الفصيح) و "الاستعمال الواقعي" (الكلام اليومي).¹

• **تفسير التداخل اللغوي:** مكنتها هذه الثنائية من تفسير ظاهرة التداخل بين المستويات اللغوية؛ فالكلام اليومي -رغم تنوعه- يظل مرتبطاً بـ "اللسان" في جذوره العميقة. وبذلك، نجحت الباحثة في تقديم قراءة نسقية للواقع اللساني العربي، تؤكد فيها أن التعدد في "الكلام" لا ينفي وحدة "اللسان"، بل هو تجلٍ من تجلياته الوظيفية التي تفرضها مقتضيات التواصل.²

3-اللسان كخزان اجتماعي:

تستدعي خولة طالب الإبراهيمي تعريف سوسير للسان بوصفه "كنزاً تودعه الممارسة الكلامية في الأشخاص المنتمين إلى جماعة واحدة"، لتجعل منه ركيزة أساسية في تحليل "المأسسة اللغوية" للعربية. ويتجلى هذا التوسيع الإجرائي في المحاور التالية:

• **ترسيخ مبدأ "القسر الاجتماعي":** انطلقت الباحثة من فكرة أن اللسان ليس ملكية فردية، بل هو "عقد اجتماعي" مفروض على المتكلم. فالمتكلم العربي، في نظر الإبراهيمي، لا يملك حق تغيير القواعد أو ابتكار "سنن" خاص به؛ بل هو يستعير آليات التواصل من "المستودع الجماعي". هذا التطبيق مكنها من تفسير استمرارية اللغة العربية وقدرتها على تحقيق التفاهم رغم شساعة الجغرافيا وتعدد اللهجات.³

• **بناء "السنن المشترك" (Code):** ركزت الباحثة على أن وظيفة اللسانيات الأكاديمية يجب أن تتجه نحو دراسة هذا "السنن" الذي يمثل الحد الأدنى المشترك والضروري للتواصل. ومن خلال هذا المنظور، استطاعت عزل "الهفوات النطقية" أو "الإبداعات الأسلوبية" (التي تنتمي

1 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 55

2 المصدر نفسه، ص 55.

3 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 49.

للكلام) بوصفها عوارض لا تخل بجوهر النظام. وبذلك، تحول اللسان عندها من مفهوم مجرد إلى "أداة فرز منهجية" ترتب أولويات الباحث؛ فالأولوية للنسق الذي يجمع، لا للاستعمال الذي يفرق¹.

• اللغة كمؤسسة وذاكرة: طبقت الإبراهيمي هذا المفهوم لإثبات أن اللسان العربي هو "نظام قيمى" وتاريخى مخزن فى الوجدان الجمعى. وهذا ما يفسر تركيزها فى كتابها على القواعد البنىوية (صرفية، نحوية، صوتية) بوصفها الهيكل الذى يحفظ هذا الخزان من التبدد، مؤكدة أن دراسة "النسق" هى الجوهر الحقيقى للدراسة العلمية الرصينة².

بهذا التطبيق، تكون الإبراهيمي قد نقلت ثنائية (اللسان/الكلام) من كونها تعريفاً فلسفياً إلى كونها "أداة فرز منهجية" سمحت لها بترتيب أولويات البحث اللساني داخل كتابها، والتركيز على "النسق" بوصفه الجوهر الحقيقى للدراسة العلمية.

ثانياً: إجرائية (الدال والمدلول) وتطبيق مفهوم "العلامة"

لا تنظر خولة طالب الإبراهيمي إلى ثنائية (الدال/المدلول) بوصفها ترفاً فكرياً، بل تجعل منها أداة إجرائية لضبط "المصطلح اللساني العربى" الذى يعانى من التعدد والاضطراب. ويمكن تحليل إجرائية هذا المفهوم فى كتابها من خلال النقاط الآتية:

1. المصطلح كعلامة لسانية: طبقت الباحثة مفهوم "الدليل اللساني" السوسيرى على المصطلحات التى عرضتها فى كتابها؛ فالمصطلح عندها هو "علامة" تتكون من دال (تتابع أصوات المصطلح مثل: ف-و-ن-ي-م) ومدلول (المفهوم العلمى الدقيق). ومن خلال هذا التطبيق، أوضحت أن المشكلة فى اللسانيات العربية ليست فى "الدال" (اللفظ) وإنما فى عدم استقرار الارتباط بـ "المدلول" (المفهوم)،

1 نعيمة جرير، "السوسيرية وأثرها فى اللسانيات العربية المعاصرة"، مجلة دراسات لسانية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولى لخدمة اللغة العربية، الرياض، ع 4، ص 108.

2 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ فى اللسانيات، المرجع السابق، ص 51.

حيث نجد دالاً واحداً يحيل إلى مدلولات متعددة، أو مدلولاً واحداً تتنازعه دوال كثيرة (مثل: لسان، لغة، لغويات، ألسنية). هذا الفرز المنهجي سمح لها بتبني مبدأ "وحدة المصطلح" داخل كتابها لضمان الوضوح العلمي¹.

2. إجرائية مبدأ "الاعتباطية" في المصطلح العربي: وظفت الباحثة مبدأ "اعتباطية العلامة" لتبرير اختيار بعض المصطلحات المعربة؛ فهي ترى أن العلاقة بين دال المصطلح ومدلوله هي علاقة تواضعية. وبناءً على ذلك، دافعت عن استعارة بعض المصطلحات الغربية (مثل: السيميولوجيا، الفونيم) بلفظها، معتبرة أن العبرة ليست في البحث عن أصل لغوي للدال في المعاجم القديمة، بل في "اتفاق" الجماعة العلمية على ربط هذا الدال بمدلول لساني محدد. هذا التطبيق المنهجي ساعدها في تجاوز الصراعات اللغوية العقيمة حول "نقاء اللغة" والتركيز على الوظيفة العلمية للمصطلح².

3 "القيمة الخلافية" للدال والمدلول: طبقت الإبراهيمي مفهوم "القيمة (Valeur)" السوسيري عند شرحها للمستويات اللسانية؛ فالدال "صوت (Phone)" لا يكتسب قيمته العلمية في كتابها إلا من خلال تضاده مع الدال "صوت (Phoneme)". لقد أظهرت الباحثة في نماذجها التطبيقية أن فهم أي مصطلح (مدلول) يتطلب فهم موقعه في شبكة المصطلحات الأخرى؛ فمدلول "النحو" يتحدد من خلال ما يميزه عن مدلول "الصرف"، ومدلول "اللسان" يتحدد بخلافه عن "الكلام". هذا التحليل النسقي جعل من المصطلحات في كتابها "كتلة مترابطة" يفسر بعضها بعضاً، بدلاً من أن تكون تعريفات معزولة³. بهذا المسلك التطبيقي، تمكنت خولة طالب الإبراهيمي من تحويل ثنائية (الدال/المدلول) إلى "فلتر" منهجي؛ استخدمته لتنقية المصطلحات اللسانية العربية من الشوائب الدلالية، وأعادت بناء "العلامة اللسانية العلمية" في كتابها على أسس سوسيرية رصينة تضمن للمتلقي العربي استيعاباً دقيقاً للمفاهيم دون خلط أو اضطراب.

1 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 65-68.

2 جبار كمال، "المصطلح اللساني في الدراسات العربية: خولة طالب الإبراهيمي أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 275.

3 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 80-85.

المبحث الثاني: تحليل مستويات النظام اللغوي (دراسة تطبيقية للمناهج الستة)

بعدها تمت مقارنة الأسس النظرية والإجرائية للثنائيات السوسيرية في فكر خولة طالب الإبراهيمي، يقتضي المسار البحثي الانتقال من تجريد النظام اللغوي إلى فحص آليات اشتغاله في مستوياته التطبيقية. يسعى هذا المبحث إلى رصد كيفية تفكيك الباحثة لـ "النظام اللغوي" عبر مستوياته المتعددة، بدءاً من البنية الصوتية والصرفية وصولاً إلى التركيب النحوي والدلالي. إن الغاية هنا هي تبيان كيف استطاعت الإبراهيمي تحويل هذه المستويات من مجرد تصنيفات لسانية معزولة إلى شبكة علائقية متماسكة، تهدف في مجملها إلى كشف القوانين المتحركة في إنتاج المعنى داخل اللسان العربي، مع مراعاة المزاوجة المنهجية بين مقتضيات اللسانيات الحديثة وخصوصيات الموروث اللغوي القديم.

أولاً: المستوى الصوتي والصرفي (تفكيك بنية الكلمة)

تتجلى إجرائية المنهج البنيوي عند الإبراهيمي في تعاملها مع الكلمة العربية كـ "وحدة بنيوية" خاضعة للتحليل الصارم، حيث انطلقت من "الأصغر" (الصوت) لتصل إلى "الأكبر" (البنية الصرفية)، وفق الآليات التطبيقية الآتية:

1. التطبيق في المستوى الصوتي (عزل الفونيم): لم تكتفِ الباحثة بوصف مخارج الحروف، بل طبقت منهج "التعارض الوظيفي" السوسيري؛ ففي كتابها، نجدها لا تدرس الصوت في معزل عن غيره، بل تحلل قيمته من خلال ما يفرقه عن الأصوات الأخرى. على سبيل المثال، طبقت آلية "الثنائيات الصغرى" (Minimal Pairs) "لإثبات أن "الفتحة" و"الضمة" في العربية هما "فونيمان" (وحدتان وظيفيتان) لأن تغييرهما في كلمات مثل (كُتِبَ) و(كُتِبَ) يؤدي إلى تغيير كامل في مدلول العلامة اللغوية. هذا التطبيق نقل الدرس الصوتي عندها من "الفونتيك" (الوصف المادي) إلى "الفونولوجيا" (الدراسة الوظيفية داخل النسق).¹

1 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، ص 82-85.

2. تفكيك البنية الصرفية (المورفيم والجذع): عند انتقالها للمستوى الصرفي، طبقت الإبراهيمي تقنية "التقطيع الأفقي" للبنية؛ فبدلاً من الاكتفاء بالأوزان التقليدية، قامت بتفكيك الكلمة العربية إلى وحدات دلالية صغرى (Morphèmes) نجدها في نماذجها التطبيقية تفصل بين "الجذر" (الذي يحمل المعنى المعجمي الخام) وبين "الوزن" أو "السوابق واللاحق" (التي تحمل المعاني الصرفية كالزمن والعدد والجنس). هذا التفكيك البنيوي سمح لها بتوضيح كيف يتشكل "الدال الصرفي" من خلال تضافر هذه الوحدات الصغرى، وهو ما ينسجم تماماً مع رؤية سوسير للغة كبنية مكونة من عناصر مترابطة.¹

3. إجرائية الوصف التزامني للبنية: طبقت الباحثة "القطيعة المنهجية" مع الدراسات التاريخية؛ ففي تحليلها لبنية الكلمة، لم تعد إلى أصول الكلمات في اللغات السامية القديمة، بل ركزت على "الحالة الراهنة للنسق" (Synchronie) "فالبنية الصرفية للكلمة في كتابها تُدرس بوصفها نظاماً حياً يؤدي وظيفة تواصلية حالية، حيث حللت كيف تساهم "الزيادة" في مبنى الكلمة في زيادة معناها وظيفياً، معتبرةً أن بنية الكلمة العربية هي تجسيد مادي للنظام اللغوي في حالة استقراره وتوازنه.²

بهذه الآليات، تكون خولة طالب الإبراهيمي قد قدمت "نموذجاً تشريحياً" للكلمة العربية؛ حيث فككتها إلى أصوات وظيفية (فونيمات) ووحدات صرفية (مورفيمات)، مما أتاح لها الكشف عن "المنطق البنيوي" الذي يختبئ وراء تشكيل الكلمات في اللسان العربي، محولةً بذلك القواعد الصرفية من مجرد "محفوظات" إلى "أنظمة حركية" قابلة للتحليل العلمي.

ثانياً: المستوى النحوي :

1 المرجع نفسه، ص 94.

2 جبار، كمال، "المصطلح اللساني في الدراسات العربية: خولة طالب الإبراهيمي أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 280.

ينتقل التحليل الإجرائي عند خولة طالب الإبراهيمي من بنية الكلمة المفردة إلى رحابة "الجملة"، حيث تتبنى الباحثة رؤية بنيوية وظيفية ترفض التعامل مع القواعد كقوانين جافة ومستقلة. ويتجلى تطبيقها المنهجي في هذا المستوى عبر النقاط التالية:

-إجرائية مفهوم "النظم" حيث بدلاً من التركيز على الإعراب كغاية وصفية في ذاته، تطبق الباحثة المنهج اللساني الحديث الذي يرى في النحو "مجموعة من القوانين التأليفية" التي تنظم الدوال في خط تعاقبي محكم. النحو عندها هو "الهندسة" التي تضمن ترابط الوحدات اللسانية لتؤدي وظيفة تواصلية محددة.¹

-محورية "الموقع" (Position) اذ تبرز الإبراهيمي في ممارستها التطبيقية أن "الموقع" داخل الجملة العربية هو المحدد الأساسي للوظيفة النحوية. فالمعنى لا يكمن في الكلمات المنعزلة، بل في كيفية "تضامها" داخل النسق. وهذا ينسجم مع مقولة "أندريه مارتينييه" حول "التمفصل الأول"، حيث تصبح الوحدات النحوية (المونيمات) هي الحاملة للمعاني الوظيفية التي تُخرج الكلام من حيز الصوت المجرد إلى حيز الفكر المنظم.²

-النحو كعلاقات تشابكية: تتجاوز الباحثة النظرة التقليدية لتقترح أن النحو هو "نظام من العلاقات" المتشابكة؛ حيث يؤثر كل عنصر في الآخر ترتيباً وتقديراً، مما يمنح الجملة صبغتها البنيوية التي تسمح للمتلقي بفك شفراتها.³

1 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 102.

2 ينظر: أندريه مارتينييه، مبادئ اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 42.

3 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 105.

ثالثاً: المستوى الدلالي

تأخذ إجرائية البحث عند خولة طالب الإبراهيمي في المستوى الدلالي منحىً "بنوياً سياقياً" رصيناً، حيث تعيد صياغة مفهوم المعنى بربطه العضوي بموقع العلامة اللسانية داخل النظام اللغوي الكلي. فهي لا تنظر إلى الدلالة بوصفها انعكاساً مباشراً لمرجعيات مادية خارجية، بل تجسداً لـ "شبكة التقابلات" والعلاقات الاختلافية التي نادى بها سوسير؛ إذ ترى أن معنى الكلمة يتحدد جوهرياً بما "ليست هي عليه" في مواجهة الكلمات الأخرى ضمن الحقل الدلالي الواحد، مما يجعل الدلالة قيمةً علائقية تنبع من داخل النسق لا من خارجه.¹

وفي خطوة منهجية فارقة، تمكنت الباحثة من المزاوجة بين هذه الأطروحات الحدائثة وبين التراث البلاغي العربي، لا سيما "نظرية النظم" عند عبد القاهر الجرجاني؛ لتثبت إجرائياً أن الدلالة في اللسان العربي هي "ثمرة التركيب النحوي" وليست معطى سابقاً عليه. فالمعنى عندها لا يتولد من رص الكلمات بشكل معجمي جامد، بل ينبثق من تفاعل العناصر النحوية وصهرها في سياق تركيبى معين، وهو ما يمنح اللغة توازنها واستقرارها في ذهن المتكلم العربي، ويجعل من "النظم" المحرك الأساسي لتوليد المعاني المتجددة.²

وتتوج الإبراهيمي رؤيتها بجعل الدلالة هي "الغاية التواصلية" الكبرى للنظام اللغوي برمته؛ فبينما يمثل النحو "الوسيلة التنظيمية" والهيكल الضابط، تظل الدلالة هي المحصلة الفكرية والهدف النهائي الذي يحقق التفاهم بين أفراد الجماعة اللسانية. ومن هذا المنطلق، يتحول "المدلول" في مقاربتها إلى كيان ديناميكي مرن يتشكل وفق مقتضيات السياق التداولي، دون أن يخرج عن ضوابط "اللسان الجمعي"؛

1 ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق ص 132.

2 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 110.

وبذلك تنجح الباحثة في تقديم رؤية وظيفية متكاملة تجعل من الدلالة جسراً يربط بين صرامة النظام اللغوي وحيوية التواصل البشري.¹

رابعاً: المقارنة التطبيقية:

تجلت عبقرية التطويع عند خولة طالب الإبراهيمي في إعادة صياغة مفهوم "الاعتباطية"؛ فبينما كان دي سوسير يشدد على أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية مطلقة لا مبرر لها²، وجدت الباحثة أن اللسان العربي بآلية "الاشتقاق" يفرض نوعاً من "الاعتباطية النسبية". ففي ممارستها التطبيقية، أظهرت أن وجود "الجذر" المشترك (مثل: ع-ل-م) يخلق رابطاً منطقياً بين مجموعة من الدوال (عالم، معلوم، تعليم)، مما يجعل الدلالة هنا ليست منفصلة تماماً عن البنية المادية للصوت، بل هي بنية توليدية محكمة.³ هذا الخروج الذكي عن النص السوسييري الحرفي مكنها من الحفاظ على "البنوية" مع احترام "خصوصية النظام الصرفي العربي" الذي يعتمد على الأوزان والقوالب، وهو ما لا تملكه اللغات الأوروبية بنفس الكثافة والانتظام.

وعلى صعيد آخر، نجد أن الإبراهيمي قد استوعبت "المنهج التزامني (Synchronie)" "لسوسير، لكنها وظفته في كتابها كأداة "تطهيرية" للدرس اللساني العربي من النزعة التعليمية المعيارية. فبينما كان هدف سوسير من التزامن هو فصل اللغة عن التاريخ (التعاقب) للوصول إلى القوانين العامة⁴، كان هدف الإبراهيمي هو تحرير "العقل اللساني العربي" من الهيمنة التاريخية التي تحكم اللغة المعاصرة بقوانين الماضي البعيد. لقد طبقت سوسير لكي تثبت أن العربية المعاصرة "نظام حي" قائم بذاته، يستحق الدراسة في ضوء علاقاته الراهنة، وليس فقط بوصفه امتداداً للتراث النحوي القديم.⁵

1 تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 310.

2 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 81.

3 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 69.

4 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق ص 117.

5 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 14.

إن هذه الموازنة تؤكد أن "الأصالة المنهجية" في كتاب "مبادئ في اللسانيات" نابعة من قدرة الباحثة على "الاستنساخ الواعي"؛ فهي لم تأخذ الحلول الجاهزة من سوسير، بل أخذت "طريقة التفكير" (النسقية) وطبقته على مشكلات اللسان العربي. وبذلك، تحول النظام السيميولوجي عند سوسير من نظرية عامة للتواصل إلى "مشرط تحليلي" في يد الإبراهيمي، استخدمته لإعادة ترتيب مستويات اللغة العربية في نسق واحد متكامل، يجمع بين صرامة العلم الحديث وجمالية النظام اللغوي الموروث.¹

المبحث الثالث: فاعلية المنهج التزامني في قراءة الظاهرة اللغوية

يُعد "المنهج التزامني" (Synchronie) "الركيزة التي سمحت لـ خولة طالب الإبراهيمي بإخراج الدرس اللساني في كتابها من عباءة "التاريخ" إلى رحابة "النظام"؛ فمن خلال تبنيها لهذا المنهج، نجحت في إحداث ما يُعرف بـ "تجميد الزمن"، وهو إجراء منهجي يعمد إلى عزل اللغة عن تطورها التاريخي الطويل لدراستها في "حالة سكون" افتراضية. لقد أدركت الباحثة أن الإحاطة بعبقرية اللسان العربي لا تتم عبر تتبع مسارات تغير الألفاظ عبر العصور (المنهج التعاقبي)، بل عبر رصد شبكة العلاقات القائمة بين العناصر في لحظة زمنية محددة، مما جعل من كتابها "مبادئ في اللسانيات" دراسة وصفية بامتياز، تُعنى بما هو كائن في النظام اللغوي لا بما كان عليه.²

أولاً: آليات نجاح الباحثة في تحليل اللغة :

ويمكن تلخيص آليات نجاح الباحثة في "تجميد الزمن" لتحليل اللغة كبنية مستقرة عبر النقاط التحليلية الآتية:

• عزل الحالة الراهنة للنسق :

1 بن زروق، مسعود، "قراءة في المنهج اللساني عند خولة طالب الإبراهيمي"، مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة الجزائر 2، المجلد 4، 2018م، ص 48.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 54.

تجلت أولى آليات النجاح المنهجي عند خولة طالب الإبراهيمي في قدرتها على تطبيق مبدأ "المقطع العرضي (Coupe transversale)" على اللغة العربية، وهو الإجراء الذي أتاح لها دراسة اللغة كبنية مستقرة في لحظة زمنية محددة. لقد عمدت الباحثة إلى "تجميد الزمن" اللغوي لغرض التحليل، متجاوزةً بذلك الدراسات التاريخية (التعاقبية) التي تشغل بكيفية تطور الألفاظ من العصر الجاهلي وصولاً إلى العصر الحديث؛ فبدلاً من تتبع المسار التطوري للكلمة، انصبت مقاربتها على تحليل بنية الكلمة العربية بوصفها نظاماً وظيفياً راهناً يخضع لمنطق العلاقات القائمة بين عناصره في اللحظة المعاصرة¹.

ويعد هذا "العزل المنهجي" ضرورةً علمية سمحت للإبراهيمي بالكشف عن "التوازن الداخلي" للنسق اللغوي؛ إذ رأت أن المتكلم العربي لا يحتاج لاستحضار الذاكرة التاريخية لكل لفظ لكي يتمكن من التواصل، بل يكفيهِ استيعاب القوانين التي تحكم اللسان في حالته الراهنة. ومن خلال هذا المنظور التزامني، استطاعت الباحثة أن تصف اللغة كـ "مؤسسة اجتماعية" حية، حيث تتحدد قيمة كل عنصر لغوي بموقعه داخل شبكة العلاقات الراهنة لا بجذوره التاريخية. هذا الإجراء لم يمنح دراستها صفة الموضوعية فحسب، بل مكنها أيضاً من تقديم وصف دقيق لآليات إنتاج المعنى وفهم السنن المشتركة (Code) الذي يربط بين المتكلمين في الوقت الحاضر، بعيداً عن شتات التغيرات الزمانية التي قد تعيق رصد انتظام النسق.²

• إعطاء الأولوية للنظام على التطور:

تجلت براعة خولة طالب الإبراهيمي المنهجية في انخيازها الواعي لـ "النظام (System)" على حساب "التطور (Evolution)"، مستندة في ذلك إلى القناعة اللسانية بأن اللغة هي منظومة من القيم التزامنية التي لا يمكن تحديد وظائفها بدقة إلا في حالتها المستقرة. وقد طبقت الباحثة هذا المنظور

1 ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص 117.
2 صلاح فضل، علم السيميولوجيا: شعار وتطبيق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص 38.

الإجرائي عند معالجتها للمستويات الصغرى للغة (الصوتية والصرفية)، حيث تعاملت مع اللغة كبنية مغلقة ومكتملة الذات في زمن محدد، مما سمح لها بضبط القواعد الصارمة التي تحكم الوحدات اللسانية بوصفها عناصر تشتغل داخل نسق ثابت¹.

إن هذا الانحياز للنظام مكنها من تقديم وصف دقيق لـ "الفونيمات" (Phonemes) و "المورفيمات" (Morphemes) لا كأحافير تاريخية، بل كقطع حيوية داخل "آلة" لسانية تعمل بانسجام تام. ففي المستوى الصوتي، لم تشغل الباحثة بكيفية تحول الأصوات عبر العصور، بل ركزت على "القيمة الاختلافية" لكل صوت داخل النظام الراهن، وكيف يسهم هذا الصوت في تمييز المعاني. وفي المستوى الصرفي، حللت "المورفيمات" بوصفها وحدات دالة تشغل مواقع محددة في بنية الكلمة، مؤكدة أن قوة النظام تكمن في "التزامن" الذي يربط بين هذه الوحدات، حيث يؤدي تجميد الزمن إلى كشف "المنطق البنيوي" الذي يمنح اللغة توازنها ويضمن للمتكلمين بها قدرة فائقة على إنتاج عدد لا نهائي من الرسائل باستخدام عدد محدود من العناصر النسقية².

القطيعة مع المنهج الفيلولوجي القديم :

جسد تطبيق مبدأ التزامن عند خولة طالب الإبراهيمي قطيعة معرفية ومنهجية حاسمة مع "المنهج الفيلولوجي" (Philology) القديم، الذي ظل لعقود طويلاً يرهن فهم اللغة بالبحث في أصول الألفاظ وتاريخ تطورها. فمن خلال آلية "تجميد الزمن"، استطاعت الباحثة تحرير البحث اللساني من "سلطة الأصل" التي كانت تفرض العودة الدائمة إلى المعاجم التاريخية لتفسير الظواهر الراهنة؛ إذ رأت أن قيمة العلامة اللسانية لا تستمد مشروعيتها من ماضيها، بل من وظيفتها الحالية داخل النسق³.

1 مسعود بن زروق، "قراءة في المنهج اللساني عند خولة طالب الإبراهيمي"، المرجع السابق، ص 50.

2 أندريه مارتينييه، اقتصاد التغيرات الصوتية، المرجع السابق، ص 15.

3 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 56.

ويتجلى هذا التحول الإجرائي في دراستها لمدلولات الألفاظ، حيث لم يعد المعنى عندها "أحفوراً" يُبحث عنه في بطون المعاجم القديمة، بل أصبح نتاجاً حيوياً لـ "علاقة الدال بالمدلول" في السياق المعاصر. لقد أدركت الإبراهيمي أن اللغة في حالة اشتغالها الراهنة هي نظام "تحكمي" مستقل، وأن إقحام التأويلات التاريخية المتغيرة قد يشوش على رصد القوانين العلمية التي تحكم النظام اللغوي في شروط تحققه الحالية. هذا المسلك المنهجي هو ما منح دراستها صبغة "العلمية"؛ فالبحث اللساني معها انتقل من "تاريخ الكلمات" إلى "علم الأنظمة"، حيث تُدرس الظاهرة اللغوية بوصفها بنية متماسكة ومنسجمة تعبر عن فكر المتكلم المعاصر واحتياجاته التواصلية، دون أن يكون رهينةً للاشتقاقات التاريخية التي قد لا تعني لمستعمل اللغة الحالي شيئاً¹.

وبذلك، تكون الإبراهيمي قد وضعت حداً للهيمنة الفيلولوجية، ممهدة الطريق أمام لسانيات عربية حديثة تنظر إلى اللغة بوصفها "ظاهرة آنية" تخضع لمنطق التزامن والانتظام النسقي، مما يسمح بضبط قوانينها بدقة رياضية وموضوعية تتجاوز أحكام القيمة أو النزعات التاريخية المتشددة.² بهذه الاستراتيجية المزدوجة (تحميد الزمن وتكثيف التحليل النسقي)، قدمت خولة طالب الإبراهيمي نموذجاً تطبيقياً يبرهن على أن قوة اللسان العربي تكمن في "ثبات نظامه" وقدرته على إنتاج المعاني من خلال علاقات التضاد والتشابه الراهنة، وليس فقط من خلال امتداده التاريخي العريق.³

ثانياً: نقد التحليل التاريخي :

يُمثل نقد التحليل التاريخي عند خولة طالب الإبراهيمي نقطة تحول منهجية في كتابها؛ حيث لم يكن مجرد رفض للماضي، بل كان "قطيعة إبستمولوجية" (معرفية) تهدف إلى تأسيس علم لسان عربي حديث يقوم على الوصف لا على التأريخ.

1 ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المرجع السابق، ص 104.

2 خولة طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 58.

3 جرير، نعيمة، "السوسيرية وأثرها في اللسانيات العربية المعاصرة"، المرجع السابق، ص 112.

ويمكن بسط كيفية تطبيقها لهذه القطيعة السوسيرية مع المناهج القديمة من خلال الفقرات والركائز الآتية:

اعتمدت الباحثة في عرضها للمبادئ على استراتيجية "الفصل المنهجي" بين صيرورة اللغة عبر الزمن وبين آلياتها في الاشتغال؛ فبينما كانت المناهج التاريخية القديمة (الفيلولوجية) تغرق في البحث عن "أصول الكلمات" وعلاقاتها باللغات السامية الأم، طبقت الإبراهيمي مقولة سوسير بأن "اللغة نظام لا يعرف إلا نظامه الخاص".¹ لقد جادلت بأن التطور التاريخي للغة ما لا يسهم في فهم وظيفتها الحالية داخل النسق؛ فالمتكلم الذي يستخدم اللغة لا يحتاج لمعرفة تاريخ الكلمة لكي يتواصل بها، وبالمثل، فإن اللساني يجب أن يدرس اللغة في حالة استقرارها ليفهم قوانينها الجوهرية.²

وتتجلى معالم هذه القطيعة في كتابها عبر النقاط الإجرائية التالية:

- تجاوز النزعة التعليمية المعيارية: انتقدت الباحثة المناهج القديمة التي كانت تقيس صحة اللغة بمدى قربها من "الأصل التاريخي" المثالي. وطبقت بدلاً من ذلك المنهج الوصفي الذي يدرس اللغة كما هي مستعملة بالفعل، معتبرة أن "الواقع اللساني" الراهن هو المرجعية الوحيدة للعلم، وليس المرجعية التاريخية الموغلة في القدم.³
- إحلال "النسق" محل "التراكم": في عرضها لمبادئ اللسانيات، رفضت الباحثة التعامل مع اللغة كركام من الأحداث التاريخية المتلاحقة، بل طبقت رؤية سوسير التي ترى اللغة كـ "بنية تضامنية". فالحرف أو الكلمة لا يكتسب قيمته من جذوره التاريخية، بل من "تعارضه" الحالي مع بقية عناصر النظام، وهو ما سمح لها بتقديم تحليل بنيوي متماسك للمستوى الصوتي والصرفي في العربية.⁴

1 دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة، ترجمة: صالح القرماضي وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م، ص 37.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 55.

3 المرجع نفسه، ص 16.

4 بن زروق، مسعود، "قراءة في المنهج اللساني عند خولة طالب الإبراهيمي"، المرجع السابق، ص 52.

• التميز بين العلم والتاريخ: طبقت الإبراهيمي قطعة حاسمة حين اعتبرت أن اللسانيات علم يدرس "الأنظمة"، بينما التاريخ يدرس "التغيرات". ومن خلال هذا الفرز، استطاعت أن تضع كتابها ضمن خانة "العلوم النسقية"، موفرةً للباحث العربي أدوات تزامنية تسمح له بوصف اللغة دون الوقوع في فخ المقارنات التاريخية التي قد تشوه الحقائق اللسانية المعاصرة.

إن هذا النقد التطبيقي للمناهج التاريخية مكن خولة طالب الإبراهيمي من بناء "نموذج لساني عربي" يتسم بالمعاصرة والصرامة العلمية، حيث أصبحت اللغة في كتابها موضوعاً للدراسة العلمية المستقلة، لا مجرد وثيقة تاريخية للبحث في الماضي.¹

ثالثاً: استخلاص مدى قدرة المنهج السوسيري (عبر وسيط الإبراهيمي) على تفسير قضايا اللسان العربي المعاصر

تُمثل هذه الاستنتاجات الحصيلة النهائية لاختبار فاعلية المنهج السوسيري عند تطبيقه على بيئة لسانية مغايرة للبيئة التي نشأ فيها، حيث تكشف ممارسة خولة طالب الإبراهيمي عن آفاق واسعة لتفسير قضايا اللسان العربي المعاصر بعيداً عن الانغلاق التراثي أو التبعية الغربية العمياء.

ويمكن استخلاص مدى قدرة هذا المنهج (عبر وسيط الإبراهيمي) على معالجة قضايا العربية الراهنة وفق النقاط والتحليلات الآتية:²

• تجاوز أزمة الازدواجية اللغوية:

تعد قضية "الازدواجية اللغوية" (Diglossia) "من أعقد الإشكالات التي تواجه اللسان العربي المعاصر، وقد استطاعت خولة طالب الإبراهيمي، عبر تمثيلها للمنهج السوسيري، أن تقدم مقارنة إجرائية

1 جبار، كمال، "المصطلح اللساني في الدراسات العربية: خولة طالب الإبراهيمي أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 282.

2 الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 15

تتجاوز الرؤى التقليدية التي كانت ترى في العلاقة بين الفصحى والعاميات حالة من "الصراع" أو "الفساد اللغوي". ويمكن توسيع هذا العنصر التحليلي وفق الآتي:

تجاوز أزمة الازدواجية اللغوية: من الصراع إلى التكامل النسقي

نجحت خولة طالب الإبراهيمي في توظيف ثنائية (اللسان/الكلام) كأداة تشريحية لفك الارتباط بين المستويات اللغوية العربية؛ حيث أعادت صياغة المشهد اللغوي بوصفه نظاماً متكاملاً لا صراعياً. فمن خلال وضع "العربية الفصحى" في خانة "اللسان (Langue)" بوصفها النظام التجريدي، والمخزن الجمعي المشترك، والسنن المرجعي الذي يضمن وحدة الأمة تواصلية وتاريخية، استطاعت أن تمنحها صفة "الاستقرار النسقي". وفي المقابل، نظرت إلى "العاميات" بوصفها تمثلات "كلامية (Parole)" أو تجليات واقعية تخضع لظروف الاستعمال اليومي والمتغيرات الجغرافية والاجتماعية.¹

هذا التوزيع الوظيفي للمستويات اللغوية مكن الباحثة من تحقيق نتائج منهجية حاسمة، أبرزها:

- **نزع الصفة الصراعية:** بدلاً من النظر إلى العاميات كتهديد للفصحى، صيرتها الإبراهيمي مجرد "تحققات إنجازية" لنظام كلي؛ فالازدواجية في هذا المنظور ليست عيباً في البنية، بل هي "تعدد وظيفي" تفرضه طبيعة التواصل البشري التي تفرق بين مقام التدوين الرسمي ومقام التفاعل اليومي.

- **الوحدة في التنوع:** أثبتت الباحثة أن "اللسان العربي" يظل واحداً في جوهره البنيوي، وأن التعدد في "الكلام" (العاميات) لا ينقض وحدة "اللسان" (الفصحى)، بل يعكس حركيته وقدرته على التكيف. وهذا التطبيق المنهجي سمح بدراسة الواقع اللساني العربي بـ "موضوعية علمية" تصف ما هو كائن بالفعل، بعيداً عن الأحكام المعيارية التي كانت تقدر مستوى على حساب آخر.²

1 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المصدر السابق، ص 52.

2 خولة طالب الإبراهيمي، الجزائر: التعايش اللغوي المأزق، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2002، ص 114

• تفسير "التعايش اللغوي": "قدمت الإبراهيمي تفسيراً لآلية التعايش بين هذه المستويات داخل ذهن المتكلم العربي، مؤكدة أن الانتقال بين الفصحى والعاميات هو انتقال داخل "سنن لغوي كبير" يتسم بالمرونة، مما يرفع الحرج عن الممارسات اللغوية المعاصرة ويفتح الباب أمام لسانيات تطبيقية تدرك خصوصية البيئة العربية¹.

بهذا المسلك، لم يعد المنهج السوسيري مجرد نظرية غريبة مستوردة، بل تحول عند الإبراهيمي إلى "وسيط معرفي" أعاد ترتيب البيت اللغوي العربي، محولاً الأزمة من "مأزق هوية" إلى "ظاهرة لسانية" قابلة للفهم والضبط والتحليل النسقي الرصين.

ضبط فوضى المصطلح اللساني:

كشفت الممارسة التطبيقية لخولة طالب الإبراهيمي أن استحضار نظرية "العلامة اللسانية" (بشقيها: الدال والمدلول) يمثل الأداة الأنجع لتجاوز "الأزمة المصطلحية" التي عانى منها الدرس اللساني العربي نتيجة تعدد الترجمات واختلاف المشارب الفكرية؛ إذ ركزت الباحثة على "القيمة المفهومية" (Valeur conceptuelle) للمصطلح لا على جرس اللفظ فحسب. ويتجلى هذا التوسيع الإجرائي في المستويات الآتية:

• تأسيس "اللغة الواصفة": (Méta-langue) "نجحت الإبراهيمي في بناء لغة واصفة تتسم بالصرامة العلمية، حيث لم يعد المصطلح عندها مجرد تسمية اعتباطية، بل أصبح "وحدة دالة" محكومة بشبكة من العلاقات داخل النظام اللساني الذي تشرحه. هذا المنهج سمح لها بتوحيد الرؤية حول المفاهيم المركزية (مثل: الفونيم، المورفيم، النسق) بعيداً عن الخلافات اللفظية التي كانت تشتت القارئ العربي².

1 مازن الوعر، قضايا لغوية تداولية: نحو نظرية لسانية عربية حديثة، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988، ص 142
2 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 18.

• تجاوز "الاشتراك اللفظي": طبقت الباحثة مبدأ "العلاقات الاختلافية" السوسيري لضبط حدود المصطلح؛ فالمصطلح اللساني لا يتحدد معناه إلا بمقابلته بمصطلحات أخرى داخل الحقل المعرفي نفسه. ومن خلال هذا "العزل المفهومي"، استطاعت الإبراهيمي أن تمنح كل مصطلح حيزاً دلالياً دقيقاً لا يسمح باللبس، مما نقل البحث اللساني من مرحلة "الانطباعية" إلى مرحلة "الدقة الرياضية".¹

• المزوجة بين "الأصالة" و"العصرية": لم يكن ضبط المصطلح عندها يعني القطيعة مع التراث، بل إعادة إنتاج المصطلح التراثي (مثل: النظم، التأليف) وفق حمولة دلالية لسانية حديثة. وبذلك، تحول المصطلح إلى جسر معرفي يربط بين الفكر العربي القديم والمنجز الغربي الحديث دون حدوث اختلال في "المدلول" العلمي المراد إيصاله.²

بهذه الآلية، تحول المنهج السوسيري في رؤية الإبراهيمي من "نظرية في اللغة" إلى "منهجية لتوليد المصطلحات" وضبطها، مما ساهم في خلق بيئة بحثية داخل الجامعة العربية تتحدث لغة علمية موحدة، وهو ما يُعد خطوة أساسية لتمكين اللسانيات من التحول إلى علم مستقل بذاته في الفضاء العربي المعاصر.

إعادة الاعتبار للنظام الصرفي (الاشتقائي):

نجحت خولة طالب الإبراهيمي في إثبات أن البنيوية السوسيرية ليست نموذجاً إقصائياً لخصوصيات اللغات السامية، بل هي أداة كشفية قادرة على تفسير "عبقريّة الاشتقاق" في اللسان العربي. وتجلى هذا النجاح في توظيف مفهوم "الاعتباطية النسبية" (L'arbitraire relatif)؛ فإذا كانت العلامة

1 ينظر: الشاهد البوشيخي، مصطلحات اللسانيات: المفهوم والمنهج، معهد الدراسات والمصطلحات، فاس، ص 45.

2 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص 22.

اللسانية في أصلها اعتباطية، فإن النظام الصرفي العربي يقلص من هذه الاعتباطية عبر "القياس" والاشتقاق¹.

ويتضح هذا المسلك الإجرائي في النقاط التالية:

• **تفسير النسقية التوليدية:** انطلقت الباحثة من فكرة أن الجذر اللغوي (مثل: ك ت ب) يمثل "قوة احتمالية" لا تتحقق دلاليًا إلا من خلال دخولها في "نسق من العلاقات" الصرفية. فبواسطة الأوزان والقوالب (الصافي)، يُنتج النظام العربي آلاف الكلمات التي ترتبط ببعضها برباط نسقي محكم. هذا المنظور حول الصرف العربي من مجرد "تغيير في الأبنية" إلى "حركية لسانية" توليدية تضمن حيوية اللغة واستمرارها².

• **محورية "العلاقة" لا "المادة":** طبقت الإبراهيمي المبدأ السوسيري الذي يرى أن القيمة تنبع من العلاقات؛ فالكلمة المشتقة (كاتب، مكتوب، مكتبة) لا تستمد معناها من حروفها فحسب، بل من موقعها داخل "الجدول الاشتقاقي" وعلاقتها الاختلافية مع بقية المشتقات. هذا التحليل أعاد الاعتبار للصرف العربي بوصفه نظاماً بنيوياً متكاملاً، حيث يؤدي أي تغيير في "المورفيم" (الوزن) إلى تغيير جذري في "المدلول"³.

• **الكشف عن اقتصادية اللغة:** أثبتت الباحثة أن النظام الاشتقاقي العربي يحقق أعلى درجات "الاقتصاد اللغوي"؛ إذ يسمح بتوليد مفاهيم متشعبة من أصل واحد، وهو ما ينسجم مع الرؤية البنيوية التي تبحث عن القوانين الكلية التي تحكم الأجزاء. وبذلك، تحول المنهج السوسيري عند الإبراهيمي إلى وسيلة لتمجيد مرونة اللسان العربي وقدرته على استيعاب المفاهيم الحديثة من خلال تفعيل طاقته الاشتقاقية الكامنة⁴.

1 ينظر: الشاهد البوشيخي، مصطلحات اللسانيات: المفهوم والمنهج، المرجع السابق، ص48.

2 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، المرجع السابق، ص25.

3 المصدر نفسه، ص26.

4 مازن الوعر، قضايا لغوية تداولية: نحو نظرية لسانية عربية حديثة، المرجع السابق، ص153.

بهذه المقاربة، لم تعد البنيوية مجرد "قالب جاهز" يُسقط على العربية، بل تحولت إلى "مجهر لساني" أظهر
مكامن القوة في النظام الصرفي العربي، مبرزاً كيف يتجاوز اللسان العربي كونه أداة للتواصل ليصبح
نسقاً رياضياً وجمالياً رفيع المستوى.

تتوج الدراسة التطبيقية والتحليلية لكتاب "مبادئ في اللسانيات" بملخصة منهجية تؤكد أن الممارسة اللسانية عند خولة طالب الإبراهيمي لم تكن مجرد استنساخ سلمي للأطروحات السوسيرية، بل كانت عملية "إعادة بناء" واعية للدرس اللساني ضمن بيئة عربية مغايرة؛ حيث نجحت الباحثة في تحويل الثنائيات والمفاهيم البنيوية من قوالب نظرية جافة إلى أدوات إجرائية قادرة على استنطاق مستويات اللسان العربي بكل تعقيداته. ويظهر ذلك بجلاء في قدرتها على تبئية مفهوم "الاعتباطية" وربطه بالخصوصية الاشتقاقية للعربية، مما مكنها من تقديم قراءة نسقية تتجاوز النظرة التجريبية القديمة للغة، وتؤسس لقطيعة إبستمولوجية حاسمة مع المناهج التاريخية والمعيارية التي طالما هيمنت على العقل اللغوي العربي. إن اشتغال الإبراهيمي على مستويات النظام اللغوي، من الصوت إلى الدلالة، في ضوء المنهج التزامني، قد سمح بتجميد الظاهرة اللغوية زمنياً لرصد توازناتها الداخلية، وهو ما أثبت نجاعة "الوساطة السوسيرية" في تفسير قضايا معاصرة كالازدواجية اللغوية وضبط المصطلح العلمي. وبذلك، يخلص الفصل إلى أن كتاب الإبراهيمي يمثل نموذجاً للمثاقفة المنهجية الناجحة، حيث استعارت الباحثة "الروح البنيوية" الغربية لتعيد ترتيب البيت اللساني العربي على أسس وصفية وعلمية دقيقة، محولةً اللغة من مجرد أداة للتعبير إلى موضوع مستقل للدراسة في ذاته ولأجل ذاته، مما يفتح آفاقاً جديدة للباحثين في استثمار المناهج الحديثة دون التفريط في منطق اللسان العربي الأصيل.

خاتمة

بعد هذه القراءة التحليلية والفاحصة في منجز الدكتور خولة طالب الإبراهيمي من خلال مؤلفها "مبادئ في اللسانيات العامة"، وتتبع أبعاد التلقي والتطبيق للمنهج السوسيري وثنائياته البنيوية، نصل في ختام هذه المذكرة إلى استخلاص جملة من النتائج والتوصيات المنهجية المترابطة، ونصوغها في السطور المتتالية التالية:

نتائج البحث المستخلصة:

- أثبتت الدراسة أن كتاب "مبادئ في اللسانيات العامة" لخولة طالب الإبراهيمي يُمثّل وسيطاً معرفياً واعياً في نقل وتوطين اللسانيات البنيوية السوسيرية في الفضاء الجامعي الجزائري والعربي.
- بيّن الفحص الاصطلاحي نجاح الباحثة في تتبع المسار التاريخي والدلالي للمفاهيم المحورية (اللسان، الدال، المدلول)، واصله بين جذورها في التراث العربي القديم وتجلياتها في اللسانيات الحديثة.
- تجلّى التأثير السوسيري الاصطلاحي والمنهجي على الإبراهيمي في تبنيها الصارم للثنائيات اللسانية كأدوات واصفة وإجرائية قادرة على عزل موضوع الدراسة بدقة.
- برهنت الباحثة على إجرائية ثنائية (اللسان/الكلام) في تشريح واقع التعدد اللغوي والازدواجية في البيئة العربية عبر موازنة علمية بين الفصحى والعاميات.
- كشفت الدراسة التطبيقية للمستويات (الصوتية، النحوية، والدلالية) في منجز الباحثة عن كفاءة عالية في تفكيك بنية الكلمة العربية وعلاقاتها النظامية وفق المناهج اللسانية الحديثة.
- أظهر البحث فاعلية المنهج التزامني (السكوني) الذي اعتمده الكتاب في تقديم قراءة بنيوية آنية للظاهرة اللغوية، متجاوزاً عثرات التحليل التاريخي المحض في رصد حركة اللسان.

- أكدت الدراسة أن اللسان العربي المعاصر يمتلك طاقات بنيوية ونظامية مرنة، تجعله قابلاً للتفسير والتحليل في ضوء النظريات اللسانية العالمية دون المساس بخصوصيته التراث

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع .

1_ القرآن الكريم برواية ورش

سورة الشعراء، الآية: 195.

سورة سبأ، الآية: 14.

2-الكتب

- الإبراهيمي، خولة طالب، الجزائر: التعايش اللغوي المأزق، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر.
- الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات (أو مبادئ في اللسانيات العامة)، دار القصة للنشر، الجزائر.
- الآمدي، سيف الدين، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد السلام الشداوي، خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للجمع، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر/دار المعرفة، القاهرة/بيروت.

قائمة المصادر والمراجع

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفارابي، أبو نصر محمد، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- محمد بن علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- المرتضى الزبيدي، محب الدين محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- البوشيخي، الشاهد، مصطلحات اللسانيات: المفهوم والمنهج، معهد الدراسات والمصطلحات، فاس.
- حجازي، سمير، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعية، بيروت.
- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع

- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة.
- الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- الوعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق.
- الوعر، مازن، قضايا لغوية تداولية: نحو نظرية لسانية عربية حديثة، دار طلاس، دمشق.
- فضل، صلاح، علم الدلالة (دراسة تطبيقية)، دار الشروق، القاهرة.
- فضل، صلاح، علم السيميولوجيا: شعار وتطبيق، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها النظرية (أو اللسانيات وأسسها المعرفة)، الدار العربية للكتاب/الدار التونسية للنشر، تونس.
- نصار، ميخائيل، محاضرات في علم الدلالة، منشورات جامعة دمشق.
- يونس علي، محمد محمد، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- بلومفيلد، ليونارد، اللغة، ترجمة: محمود السعران، دار المعارف، القاهرة.
- تشومسكي، نعوم، البنى التركيبية، ترجمة: مرتضى جواد باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- تشومسكي، نعوم، اللغة والدهن، ترجمة: سلمان حسن العاني وهدى محمود قنبر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

قائمة المصادر والمراجع

- دي سوسير، فرديناند، دروس في اللسانيات العامة (أو علم اللغة العام / محاضرات في اللسانيات العامة)، ترجمة: صالح القرمادي / يوثيل يوسف عزيز / يوسف وغليسي، الدار العربية للكتاب/ دار آفاق عربية/ دار توبقال، تونس/ بغداد/ الدار البيضاء.
- مارتينييه، أندريه، مبادئ اللسانيات العامة (أو اقتصاد التغيرات الصوتية)، ترجمة: نايف خرما / أحمد الحمو، عالم المعرفة/ دار طلاس، الكويت/ مجموعة دمشق.

3-المراجع الأجنبية

- Barthes, Roland, **Éléments de sémiologie**, Éditions du Seuil, Paris.
- Hjelmslev, Louis, **Prolegomena to a Theory of Language**, University of Wisconsin Press.
- Martinet, André, **Éléments de linguistique générale**, Armand Colin, Paris.
- Saussure, Ferdinand de, **Cours de linguistique générale**, Édition Payot, Paris.

2- المجلات:

- بن زروق، مسعود، «قراءة في المنهج اللساني عند خولة طالب الإبراهيمي»، مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة الجزائر 2، المجلد 4.
- جبار، كمال، «المصطلح اللساني في الدراسات اللسانية العربية: كتاب مبادئ اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي أنموذجاً»، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 7، العدد 1.
- جرير، نعيمة، «السوسيرية وأثرها في اللسانيات العربية المعاصرة»، مجلة دراسات لسانية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، العدد 4.

ملحق

التعريف "خولة طالب الإبراهيمي":

1. مولده

تنسب اللسانية خولة طالب الإبراهيمي 22 فيفري 1954 الجزائر إلى عائلة علم ودين وثقافة وفكر فجدها رائد من رواد النهضة الجزائرية الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين بعد عبد الحميد ابن باديس.



2. تعلمها وشيوخها

حملت الباحثة مشروعا طموحا منذ بداية مسيرتها في البحث العلمي يتعلق بجعل اللغة العربية لغة علمية وحية كباقي اللغات، بدأت تدرس مادة اللسانيات سنة 1974 معيدة مساعدة الأستاذها عبد الرحمان الحاج صالح الذي تعترف له بالفضل الكبير في تكوينها في العلوم اللغوية في معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر، تحصلت على شهادة الماجستير من جامعة الجزائر سنة 1977 بموضوع في التعليمية.

3. إنتاجها العلمي وأشهر إنجازاتها

وفي سنة 1978 كان لها الشرف العظيم بتولي الإشراف الكامل على تدريس اللسانيات بالجامعة نفسها حيث كلفها أستاذها عبد الرحمان الحاج صالح بإلقاء المحاضرات على طلبة ليسانس. للباحثة مجموعة من الكتب والمقالات المتخصصة في المسألة اللغوية على غرار مبادئ في اللسانيات"، و"الجزائريون

والمسألة اللغوية وهو أطروحة دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية ناقشتها خولة طالب الإبراهيمي في أكتوبر 1991 بجامعة ستندال ب: غرونوبل)، قام بنقلها إلى العربية المترجم الجزائري "محمد يحياتن"، و"مبادئ المقاربة الاجتماعية لغوية، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات المنشورة هنا وهناك بالعربية والفرنسية، ولها ترجمات رائقة في هذا الجانب. وتشرف الباحثة على مخبر بحث مختص بجامعة الجزائر يطرح عدة قضايا لغوية تخص اللغات المتعددة على مستوى القطر الوطني سواء فيما يرتبط بمستوى معالجة اللغة ووصفها أو فيما يتعلق بتعليمية اللغة وما يسمى بعلم الاجتماع اللغوي.

بطاقة فنية للكتاب:

1. قراءة العنوان وتحليله

مبادئ في اللسانيات

المبادئ يقصد بها أساسيات أو قواعد.

أما اللسانيات هي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري.

2. الطباعات الطبعة الثانية.

3. مكان النشر : دار القصبة للنشر.

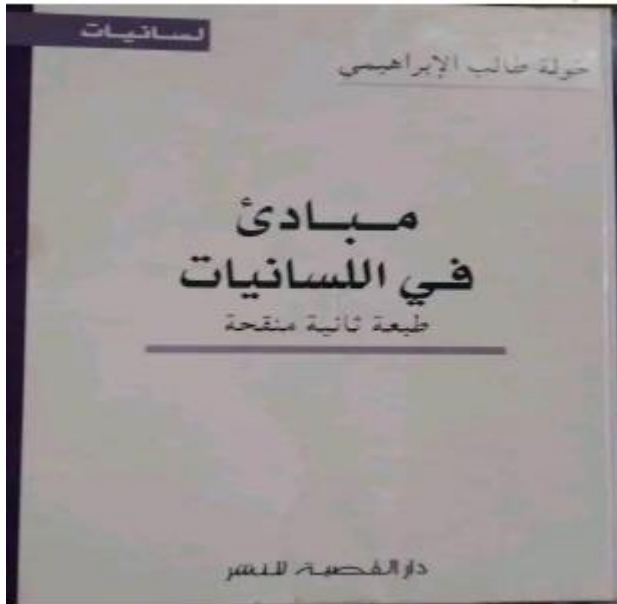
4. سنة الطبع في نوفمبر 2010

5: 206 الصفحات

6. الحجم متوسط.

7 - الأبعاد: 15 سم 22 سم.

8 الغلاف



وصف الكتاب خارجيا وداخليا

لون الغلاف أبيض محدد طولاً بشريطين بلون بنفسجي، كتب العنوان مبادئ في اللسانيات بخط عريض باللون الأسود أسفله عبارة طبعة ثانية منقحة مكتوبة بخط متوسط أسفلها شريط بنفسجي فاتح، كتب اسم المؤلفة خولة طالب الإبراهيمي في أعلى الصفحة على اليمين بخط متوسط مسطر تحته بخط بنفسجي رفيع، تقابله في الجهة اليسرى كلمة "اللسانيات" بخط أبيض متوسط في بطاقة بنفسجية، يدل اللون البنفسجي على الهدوء والخيال والروحانية، وفي أسفل الصفحة مكتوب دار القصة للنشر بخط يخالف الخطوط الأخرى، فهي اعتمدت على الخطوط الأفقية فهي تمثل الثبات والتوازن، والجهة الخلفية من الكتاب ملونة باللون الأبيض تدل على السلام والأمن والصفاء، وفي أعلى الصفحة مكتوب اسم الكاتبة خولة طالب الإبراهيمي وعنوان الكتاب مبادئ في اللسانيات بخط بنفسجي تحته خط باللون نفسه، وبعدها خلاصة مختصرة باللون الأسود، وفي أسفل الصفحة مكتوب دار القصة للنشر بخط مخالف، والترقيم القانوني للكتاب وفي جانب الكتاب مكتوب اسم الكاتبة وعنوان الكتاب في الوسط ودار القصة للنشر بخط مخالف مكتوبين باللون الأسود.

إن العلاقة بين المتن والعنوان علاقة فاعلية، تلك العلاقة نكتشفها من خلال الترابط الحاصل بين المرسل ومراسلاته، ونحن نعد العنوان خطاباً سيميائياً فكرياً يحمل دلالات عدة، فالباحثة حاولت من خلال اعتمادها على ألوان ورموز في الغلاف القول بأن كتاب مبادئ في اللسانيات هو أساسي في الدراسات اللسانية.

في مقدمة الكتاب عرفت الكاتبة بكتابها وموضوعه اللسانيات، وهو حوصلة عن تطور التفكير اللساني منذ ظهور دي سوسير إلى يوم الناس هذا، وبينت أن هذا الكتاب هو محاضرات قدمتها لطلبتها في الجامعة، بدأت في وقت مبكر التدريس حيث كانت اللسانيات مولوداً جديداً، وكذلك تحدثت عن طباعة الكتاب، حيث كانت تحاول نشر محاضراتها ولم يكن النشر في ذلك الوقت متاحاً، وعمدت في

عرضها على اتجاهات الدراسات اللسانية الغربية ومدارسها، وعندما تتحدث عن موضوع لا بد أن تربطه بالمدرسة الخليلية وبآراء أستاذها عبد الرحمان الحاج صالح.

كانت تبرز في كتابها دور الدراسات اللغوية العربية القديمة، وتبحث عن أهم المباحث اللسانية في التراث العربي؛ لأن النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية توفيقية تجسيرية تحاول قراءة التراث النحوي في اللسانيات الغربية الحديثة.

9. الأبواب والفصول

قسمت كتابها إلى ثلاثة أبواب وهي:

الباب الأول عنوانه بعلم اللسان اللسانيات العلم / الموضوع، ويبدأ من الصفحة 9 إلى 32، وقسمته إلى فصلين الفصل الأول: علم اللسان تعريفه واتجاهاته فهو فصل تمهيدي فيه مصطلحات علمية أما الفصل الثاني: اللسان موضوع علم اللسان وفي هذا الفصل تطرقت إلى اللسانيات في حد ذاتها، يعني درست اللسان بوصفه نظاما من الأدلة المتواضع عليها، واللسان والوسائل التبليغية الأخرى.

أما الباب الثاني المعنون بالتحليل العلمي للسان، ويبدأ من الصفحة 43 إلى 126 وضعت فيه أربعة

فصول؛ الفصل الأول عنوانه بمستوى الأصوات والأحرف، والثاني

مستوى الكلمات والوحدات الدالة، أما الثالث مستوى أبنية الكلام، والرابع عنوانه بالمفردات والوحدات اللغوية.

والباب الثالث الذي عنوانه بالتطورات المعاصرة للسانيات من اللسان إلى لسانيات الخطاب والكلام، يبدأ من الصفحة 158 وينتهي عند الصفحة 182، فتحدثت فيه عن أفعال الكلام، والانتقال من مفهوم الجملة إلى مفهوم النص في تحليل النشاط اللغوي الإنساني: اللسانيات النصية وبعض قضايا علم الاجتماع، فعندما تنتهي من كل باب لا بد أن تختتمه بالهوامش، وبعد نهايتها من الأبواب ختمت بقائمة المراجع الأساسية، ولا يوجد خاتمة، وبعد ذلك أشارت إلى قوائم الأعلام والأسماء الأجنبية التي وردت

في الكتاب، ثم صنفها إلى قائمة أهم الأعلام الأجانب الذين وردت أسماءهم بمتن الكتاب ثم قائمة أهم المصطلحات ومقابلها في اللغة الفرنسية، وفي الأخير أنهته بفهرس الموضوعات.

الفهرس

فهرس المحتويات

شكر وتقدير :	
إهداء	
مقدمة.....	1.....
الفصل الأول الجهود المفاهيمية والاصطلاحية لخولة طالب الابراهيمى.....	6.....
تمهيد :	 - 7 -
المبحث الاول: اللسان.....	 - 8 -
أولاً: تعريف اللسان	 - 8 -
أ- في التراث العربى القديم:.....	 - 9 -
ب- اللسانيات العربية	 - 10 -
ج- اللسان عند التراث العربى الحديث.....	 - 12 -
المبحث الثانى: الدال والمدلول	 - 15 -
أولاً: تعريف الدال لغة واصطلاحاً	 - 15 -
أ- الدال عند التراث العربى القديم	 - 17 -
ب- الدال عند اللسانيات العربية.....	 - 17 -
ج- الدال عند التراث العربى الحديث.....	 - 19 -
د- الدال عند التراث العربى الحديث ولسانيات الغربية	 - 21 -
ثانياً: تعريف المدلول لغة واصطلاحاً	 - 22 -
3- علاقة الدال والمدلول فى اللسانيات الحديثة.....	 - 27 -
المبحث الثالث: مفهوم النظام اللغوى.....	 - 29 -
1- المستوى الصوتى: audio level.....	 - 30 -
3- المستوى النحوى: Grammatical level :	 - 31 -
4- المستوى الدلالى: Semantic level :	 - 31 -
المبحث الرابع: التأثير السوسيرى الاصطلاحى والمنهجى على خولة طالب الإبراهيمى ...	 - 32 -

1. التأثير الاصطلاحي السوسيري على خولة طالب الإبراهيمي - 33 -
2. التأثير المنهجي لفيرناند دي سوسير على خولة طالب الإبراهيمي - 34 -
- خلاصة الفصل - 35 -
- الفصل الثاني آليات التطبيق المنهجي والتحليلي في كتاب "مبادئ في اللسانيات : 12
- خلاصة الفصل 12
- تمهيد - 38 -
- المبحث الأول: إجرائية الثنائيات السوسيرية في مقارنة الإبراهيمي - 39 -
- أولاً: تطبيق ثنائية (اللسان/الكلام) - 39 -
- 1- عزل موضوع الدراسة - 39 -
- 2- تحليل واقع التعدد اللغوي (الفصحى والعامية) - 40 -
- 3- اللسان كخزان اجتماعي: - 41 -
- ثانياً: إجرائية (الدال والمدلول) وتطبيق مفهوم "العلامة" - 42 -
- المبحث الثاني: تحليل مستويات النظام اللغوي (دراسة تطبيقية للمناهج الستة) - 44 -
- أولاً: المستوى الصوتي والصرفي (تفكيك بنية الكلمة) - 44 -
- ثانياً: المستوى النحوي : - 45 -
- ثالثاً: المستوى الدلالي - 47 -
- رابعاً: المقارنة التطبيقية: - 48 -
- المبحث الثالث: فاعلية المنهج التزامني في قراءة الظاهرة اللغوية - 49 -
- أولاً: آليات نجاح الباحثة في تحليل اللغة : - 49 -
- ثانياً: نقد التحليل التاريخي: - 52 -
- ثالثاً: استخلاص مدى قدرة المنهج السوسيري (عبر وسيط الإبراهيمي) على تفسير قضايا اللسان العربي المعاصر - 54 -

- 59 -	 خلاصة الفصل
46	 خاتمة
46	 قائمة المصادر والمراجع
49	 ملحق
49	 الفهرس

ملخص :

تتناول هذه الدراسة كتاب الباحثة الجزائرية خولة طالب الإبراهيمي "مبادئ في اللسانيات العامة"، لرصد كيفية تلقي وتطبيق اللسانيات البنيوية (السوسيرية) في الفكر اللغوي العربي المعاصر. ركّز البحث في شقه النظري على تتبع التطور الاصطلاحي لمفاهيم (اللسان، الدال، المدلول) بين التراث العربي واللسانيات الحديثة. وفي الجانب التطبيقي، رصدت الدراسة مدى إجرائية الثنائيات والمناهج السوسيرية في منجز الباحثة لتفكيك مستويات النظام اللغوي (الصوتية، النحوية، والدلالية)، وقدرة المنهج التزامني على قراءة واقع التعدد اللغوي (الفصحى والعاميات) وتحليل قضايا اللسان العربي المعاصر.

. **الكلمات المفتاحية:** خولة طالب الإبراهيمي، دي سوسير، اللسانيات البنيوية، الثنائيات اللسانية، اللسان العربي.

Abstract:

This study examines the book "Principles of General Linguistics" by Algerian scholar Khaoula Taleb Ibrahim, analyzing the reception and application of Saussurean structural linguistics in contemporary Arabic linguistic thought. The theoretical framework traces the conceptual evolution of (Tongue, Signifier, Signified) between Arabic heritage and modern linguistics. Practically, the study explores the operational efficiency of Saussurean dichotomies and methods in her work to deconstruct the linguistic system levels (phonological, grammatical, semantic), evaluating the synchronic approach's ability to interpret linguistic pluralism (Modern Standard Arabic vs. Dialects) and contemporary Arabic language issues.

- **Keywords:** Khaoula Taleb Ibrahim, De Saussure, Structural Linguistics, Linguistic Dichotomies, Arabic Language.